الموروث الديني الإسلامي في مكافحة الفساد

الخطاب والممارسة

2013

الموروث الديني الإسلامي في مكافحة الفساد

الخطاب والممارسة

إعداد:

الباحث نصر يعقوب

إشراف:

الدكتور عزمي الشعيبي

مفوض أمان لمكافحة الفساد

منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة - أمان - ©2013

الطبعة الأولى

الفهرس

مقدمة	5
نبذة عن منظومة الفساد ومكافحته في فلسطين	7
الكتب السماوية ومكافحة الفساد	10
الإسلام ومكافحة الفساد	11
مفهوم الفساد والاصلاح في النصوص التشريعية	12
منهجية فهم نصوص الإسلام	16
الإسلام وتصديه للفساد	17
أبرز أشكال الفساد الواردة في العقيدة الإسلامية	22
أجهزة مكافحة الفساد في الإسلام	35
النماذج التاريخية والممارسات الحسنة: دروس وعبر	43
مكافحة الفساد في العهدين القديم والجديد	53
المراجع	

المقدمة

باتت ثقافة مناوأة الفساد ومكافحته، وتعزيز قيم النزاهة والاستقامة، ونظم المساءلة تشغل بال المفكرين والمثقفين والسياسيين، حتى اصبحت هما عالميا، كما وباتت الشعوب تنظر اليها بحبور شديد، بل وتدخل في باب الامنيات والأحلام، احيانا اخرى، لدى بعض الشعوب والدول نظرا لما تعانيه من مصاعب نتيجة لاستفحال ظاهرة الفساد والنتائج المدمرة المرتبطة به والناجمة عنه. وقد لوحظ ان الفساد المستفحل كان احد الاسباب المهمة للحراك الثوري العربي منذ نحو عامين تقريبا. وعلى ضوء انطلاق مؤسسات على الصعد الكونية والاقليمية والمحلية تعنى بشؤون النزاهة والشفافية ومكافحة الفساد، يمكن القول بانه تم فرض هذه القضايا على جدول الاعمال العالمي، وغدت مفردات النزاهة والشفافية تغزو الابحاث الاجتماعية بقوة. وبرغم ذلك، فإن دول العالم لا تزال تشق مسيرتها وتجربتها في هذا السبيل ضمن طريق وعرة لا سيما وأن شعوب البلاد هي اكثر من يعاني من الفساد، وهي من يدفع ثمن غياب قيم النزاهة ونظم المساءلة الجدية، وبدرجات متفاوتة، يمكن القول أن الحراك الثوري العربي الذي بدأ بتونس قد فرض أيضا مكافحة الفساد على سلم اولويات المجتمعات والحكومات على حد سواء، في الدول التي حصل فيها حراك ثوري، أو تلك التي لم يصلها بعد. وفي سياق توسع الانشطة البحثية لمكافحة الفساد، حصل اهتمام بدور الاديان في هذا الموضوع، وما تضمنه من افكار واحكام تتعلق بتعريف الفساد، واشكاله، واليات مكافحته.

تحاول هذه الدراسة تأسيس مقاربة فكرية منهجية، نظرية وتطبيقية، حول الموضوع بالاستناد الى النصوص والنماذج التاريخية والسلوك الحسن الذي يمكن الاقتداء به. وفي هذا الاطار، تسعى الدراسة الى تسليط الضوء على موقف الدين الاسلامي من الفساد، وايضا، ولو بشكل سريع، الى استعراض دور الاديان السماوية الاخرى في مكافحة الفساد وغرس قيم النزاهة ومبادئ الشفافية ونظم المساءلة من خلال السرد المدعم بأمثلة كالقصص والروايات والنصوص والسلوكيات والعبر ذات الدلالة الصريحة لرفض الفساد ومكافحته، كنماذج عامة قابلة للتعميم والإعمال في الوقت الراهن. فالهدف المرجو من وراء اعداد هذه الدراسة يسير باتجاهات مختلفة: نشر الثقافة المناوئة للفساد في المجتمع، ورفع درجة الالتزام بالقيم الرفيعة والعليا من خلال غرس قيم النزاهة ونظم المساءلة في حياة الناس خاصة لدى اتصالهم بمؤسسات وموظفي الدولة واصحاب الوظائف العامة.

واستطرادا للهدف الأخير، تفرد الدراسة خطوطا عريضة موجهة الى الائتلاف من اجل النزاهة والمساءلة (امان) يمكن ان تستند اليها وتستفيد منها مستقبلا سواء في خطط عملها او في تدخلها مع «المؤسسات الدينية» المختلفة. وعليه، ستضم هذه الدراسة ايضا مادة حول الواقع الحالي الفلسطيني، القانوني والمؤسساتي، كما ستقدم الدراسة عرضا لأهم المفاهيم والمصطلحات الحديثة والقديمة المتعلقة بمنظومة الفساد ومكافحته مع امثلة تطبيقية وحالات دراسية ما امكن الى ذلك سبيلا.

ان البحث المقارن حول رؤية الاديان والمبادئ والطروحات المختلفة حول موضوع معين أمر لا غنى عن أهميته: فبواسطته يتم التقاط التقاطعات واوجه التشابه من ناحية، والفروقات والاختلافات من ناحية اخرى. وسوف تعمل أمان وعلى ضوء على إعداد هذه الدراسة على بلورة منهجية وخطة عمل لتنفيذها بتعاون مع الاطراف ذات العلاقة وتتعلق بتفعيل دور الاديان وانخراطها في جهود مكافحة الفساد.

نبذة عن منظومة الفساد ومكافحته في فلسطين

الفساد في هذه البلاد كغيرها معروف وموجود. فالفساد ظاهرة عالمية وقديمة، وهي تنتشر حديثا لا سيما في العالم العربي. ورغم ذلك، فإن اثارة موضوع الفساد للمرة الاولى بزخم وبكثافة في فلسطين جرى عام 1997 حينما أظهر تقرير لجنة الرقابة العامة بمعية تقرير آخر أسنده صادر عن المجلس التشريعي في آيار من العام نفسه، وجود فساد مالي واداري مارسه عدد من المتنفذين في السلطة الفلسطينية التي كان قد مضى على انشائها حوالي أربع سنوات تقريبا.

إلا أن عدم محاسبة الفاسدين الذين وردت اسماؤهم في التقرير أثر سلبا على استشراء الفساد وتفاقم حدته بحيث تخطى حدود اهدار المال العام ليصل الى غيره من المجالات والاشكال في الوظيفة العمومية، فشاعت المحاباة والواسطة في التعيينات والترقيات، وانتشرت ظاهرة تجاوز القانون والانظمة في المناحي الاقتصادية[1].

تصدى كثير من المحللين لأسباب الفساد وآثاره ومخاطره ونتائجه، ومع أن هناك أسباب ومنابع خاصة لوجود الفساد في أحد المجالات والقطاعات (القطاع العام، الهيئات المحلية، الادارة المالية، التمويل، المنظمات الاهلية والمجتمع المدني...الخ) وهي التي قام الائتلاف من اجل النزاهة والمساءلة (أمان) بفتح الباب طولا وعرضا لمناقشته في دراسات وتقارير ومؤتمرات وحلقات بحث، وعموما، فإن هناك جملة من الاسباب التي تعتبر مسئولة عن ظاهرة الفساد في بشكل عام:

- **الأسباب المسئولة عن ظاهرة الفساد[2]:**

1. انتشار الفقر وتدني الوضع الاقتصادي والجهل ونقص المعرفة بالحقوق.
2. سيادة القيم التقليدية والروابط القائمة على على النسب والقرابة.
3. وجود تضييق على المشاركة السياسية رغم ان الدساتير المختلفة تكفل هذا الحق.
4. طغيان السلطة التنفيذية وتغولها في النظم السياسية العربية وعدم تحديد مسئوليات وصلاحيات اجهزة الحكم المختلفة.

1. علي ابو دياك وناصر الريس، السياسات والتشريعات في مكافحة الفساد. (فلسطين – رام الله: ائتلاف امان، 2008)، ص 9.
2. المركز اللبناني للدراسات. (كتاب المرجعية)، مصدر سبق ذكره، ص: 36، وايضا: عبد الرحمن ابو عرفة، الفساد في المجتمع الفلسطيني – قراءة اولية، مقالة منشورة في عدة مواقع، ص:5.

5. ضعف الارادة السياسية لدى القيادة السياسية لكافحة الفساد.
6. ضعف دور وسائل الاعلام ومحدودية الحرية التي تحظى بها للكشف عن قضايا الفساد.
7. ضعف دور مركبات المجتمع من احزاب ومؤسسات مجتمع مدني وقطاع خاص في الرقابة على الاداء الحكومي وعدم انخراطها في مواجهة مظاهر الفساد.
8. ضعف السلطة القضائية وغياب سلطة القانون.
9. عدم استكمال وضعف قوانين وأنظمة الرقابة العامة.
10. ضعف الدور الرقابي للمجلس التشريعي.
11. الاجراءات البيروقراطية غير المبررة والمعقدة والتي تستلزم وقتا طويلا مما يدفع البعض إلى العجلة في قضاء المصالح.

على الرغم من أن النتائج الأكثر بروزا وتأثيرا للفساد تكمن في الآثار الاقتصادية، فإن هناك نتائج اجتماعية وسياسية وثقافية لا تقل تأثيرا، غير أنه درجت العادة على تحديد النتائج ذات الطابع الاقتصادي باعتبارها الترجمة المباشرة لمفهوم الفساد في الموقع العام.

- **ويمكن تبنيد أهم نتائج وجود الفساد على النحو التالي[3]:**

1. هدر الموارد: ويتمثل ذلك بمنع تحويل مصادر الإيرادات العامة من الوصول الى خزينة الدولة لاستعمالها للمصالح العامة الى جيوب أفراد، الأمر الذي ينعكس على تدني مستوى الخدمات التي من المفترض أن تقدمها الدولة للصالح العام.
2. الحد من النمو الاقتصادي والتنمية: نتيجة تحكم قلة من الأفراد أو المجموعات بأحجام كبيرة من مصادر الأموال العامة، فان فرصة استخدام هذه الأموال في المشاريع والبنية الاقتصادية تتأثر سلبا حيث يتغير نظام استخدام الأموال من مساره الطبيعي القائم على العرض والطلب، الى مسارات أخرى طارئة ومنها تحويل الأموال الى خارج البلاد مثلا.
3. ضعف مستوى المعيشة: من الطبيعي أن يؤدي تسرب مبالغ مالية عامة الى جيوب بعض الأفراد الى خفض المصادر المتاحة لتنمية الاقتصاد، وبمقابل الإثراء الكبير لبعض الأفراد فان انخفاضا واسعا لمستوى المعيشة يبدأ بالحدوث ثم الانتشار.
4. الإخلال بمصداقية الدولة: تعتمد الدول وخاصة الدول النامية على

3. المصدر السابق نفسه.

مساعدات الدول الأخرى من اجل تنمية اقتصادياتها. وفي حالة شيوع ظاهرة الفساد. وخاصة إذا انتشر في أوساط المسؤولين المتنفذين. فان مصداقية الدولة تبدأ بالتأثر. فتبدأ المؤسسات الدولية بالشك في قدرات هذه الدولة على تنشيط الاقتصاد وبالتساؤل عن مصير أموال المساعدات الأمر الذي سوف يعمل على تأخير فرص التنمية.

5. ضعف فعالية الأداء العام: وكنتيجة حتمية. فان من شان تفشي الفساد أن يؤدي الى الاخلال الهيكل والتنظيم الإداري للدولة ويحرف مجموعة المسؤولين عن أداء المهام التي وجدوا من اجلها. والالتهاء إما بمحاولات البحث عن فرصة للإثراء. أو بالبحث عن هؤلاء الذين يحاولون الإثراء غير المشروع. وبهذا فان أولويات التنمية والخدمة العامة تتراجع لتمثل مرتبة متأخرة في الاهتمام على حساب أمور سلبية.
6. هجرة الكفاءات.
7. ضرب اسس المجتمع القيمية والاخلاقية.

ومن الواضح بأن الظروف في الحالة الفلسطينية قد تكون مواتية لزيادة مظاهر وحالات الفساد نتيجة لوجود تأثير للحالات السابق ذكرها. وهذا يؤكد ضرورة الإسراع في معالجة الأوضاع وتصحيحها خاصة في مجال السلطة القضائية واستكمال المنظومة القانونية وتفعيل مجالات الرقابة المختلفة التشريعية والرسمية والإعلامية والأهلية.

ويؤشر الواقع الفلسطيني من جهة الاطر القانونية والعملية للالتزام بالتدابير الوقائية لمكافحة الفساد. وما تم تحقيقه في سبيل انشاء منظومة مكافحة الفساد على وجود جملة من القوانين والانظمة والتدابير والسياسات والمؤسسات المختصة الامر الذي يتماشى مع اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد. بيد ان بعض القوانين لا زالت تعتريها حالة عدم الانسجام والتبعثر. وكما يوجد بعض الجوانب القانونية والعملية التي يمكن البناء عليها وتطويرها بما يدعم التقدم الذي حصل وما يمكن أن يحصل في مكافحة الفساد. إلا أنه. بالمقابل. تقدم بطيء. وينقصه المزيد من العمل والجهد والتنسيق والمراجعة الدائمة[4]. يلعب ائتلاف امان دورا مهما في هذا الصعيد مع بقية الجهات الرسمية والاهلية والقطاع الخاص في مكافحة الفساد من خلال جملة من الفعاليات والانشطة.

4. للاطلاع على المزيد من التفاصيل حول التشريعات والقوانين والسياسات فيما يخص مكافحة الفساد انظر: عزمي الشعيبي (اشراف وتحرير). تقييم الالتزام بالتدابير الوقائية في اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد. (رام الله. ائتلاف امان. 2010).

الكتب السماوية ومكافحة الفساد

لقد حثت الأديان السماوية على السلوك النزيه، والالتزام بالضوابط التي تحقق العدالة ورفع الظلم، واحترام كرامة الإنسان، والابتعاد عن الرشوة، وعن الفساد بشكل عام، وحفظ الاموال العامة، ولأن الدين في المجتمعات الشرقية عامة، والمجتمعات العربية خاصة يُعتبر جزءا هاما من حضارة تلك المجتمعات ومرجعياتها الثقافية والفكرية لهم، وقيمة توجه سلوكيات الافراد في تلك المجتمعات، فإن رفع وعي "رجال الدين" والواعظين والخطباء المهتمين منهم بأهمية التصدي للفساد بأشكاله المختلفة يعتبر امرا مهما، ولا شك ان الاديان السماوية كرست العديد من القيم والاخلاقيات والسلوكيات المضادة للفساد التي لا بد من الاستفادة منها لتحصين المجتمع ضد الانحرافات، وفي هذا السياق فإن أمان تقدم هذه الدراسة لتسليط الضوء على أن الأديان السماوية لا تتعارض مع قيم النزاهة ومبادئ الشفافية ونظم المساءلة المناهضة للفساد.

إن ثقافة مكافحة الفساد ليست بالأمر الجديد، لأن الفساد موجود منذ القدم، وقد أجمعت الأديان السماوية على ان تفعيل القيم والأخلاق صمام امان ضروري في مكافحة الفساد، ومن الضروري ان يتوقع من "المؤسسات الدينية" والعاملين فيها، على اختلاف انواعها، العمل على ترسيخ ثقافة النزاهة والمجتمع النظيف الخال من الفساد لدى العاملين في المؤسسات الدينية.

مفهوم الفساد والاصلاح في النصوص التشريعية الإسلامية

إن الناظر والمدقق في القرآن الكريم يجده قد تطرق إلى مفهوم الفساد مبينا واقعَه وتعددَ إشكاله. فاعتبر الفساد يشتمل على العقائد والمفاهيم والحكام. تماما كما يشتمل على الفساد المالي والإداري والاقتصادي علاوة على الإفساد في الارض. قال تعالى: ((وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ))[المؤمنون/71]. والأهواء رغبات وميول لدى أصحابها لا تقوم على أساس مقنع للعقل.لذلك. لم يستعمل القران لفظ الاصلاح ضد الفساد عبثا. ورغم ان الصلاح والفساد يختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال التصرفات والسلوك. قوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة. وإصلاح الله تعالى الشيء يكون تارة بخلقه إياه صالحاً. وتارة بإزالة ما فيه من الفساد بعد وجوده. وتارة يكون بالحكم له بالصلاح. والإصلاح في كل هذا مطلوب على قدر الوسع: ((إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))[هود/84].

الإصلاح واجب في كل الحالات. في الأفعال والأقوال: ((من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون))[النحل/97]. وإن أجر المصلحين عند الله محفوظ: ((إنا لا نضيع أجر المصلحين)) [الأعراف/170].

إن الفساد ظاهرة تحكمها تصرفات الانسان فردا ومجتمعا. وان ما يقابلها هو الصلاح والاصلاح والتعفف والنزاهة. وان حركة التضاد الموجودة بين هاتين الظاهرتين هي من العوامل التي تحكم مسيرة الامم والشعوب على الارض: ((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الارض يرثها عبادي الصالحون)) [الانبياء/ 105].

وردت كلمة "الفساد" في القرآن الكريم 6 مرات. فيما يصل العدد الكلي لكلمات جذر الفساد "فسد" الى 50 مرة في إحدى وعشرين سورة قرآنية. والفساد في اللغة والتعبير القراني هو: خروج الشيء عن الاعتدال. قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا. ويضاده الصلاح.

وقد تناول القرآن كلمة الفساد بمعاني مغايرة وان جمعها الاصل اللغوي، وحتى مع اختلاف المفسرين ما مقصوده منها، فمثلا: اية ((وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد))[البقرة/205] يذهب القرطبي[8] بأن معنى ليفسد هو الخراب، ويردف بانه عينيا كل فساد كان في ارض او مال او دين، اما الفساد في نهاية الاية فيعني لا تعمل بالمعاصي والتجبر والطغيان. وعلى نفس النحو قال الامام الطبري حينما حدد مضمون الفساد في نفس الاية بانه جميع المعاصي والبغي[9].

يقع الفساد وهو سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصالح شخصية في قلب الفساد بمعناه الأشمل كما ورد أحياناً في القرآن الكريم، لا سيما ان شيوع الفساد يعني ضياع حقوق الناس واموالهم ومصالحهم، فكان عذاب الله لهم بسبب ما اقترفت ايديهم وسكوت الناس عن هذا الانتشار والشيوع للفساد ومظاهره. ويقول تعالى: ((إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون))[النمل/ 34]. ويقول: ((والله لا يحب الفساد)) [البقرة/205]، وقوله: ((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)) [البقرة/11]، وقوله: ((إن الله لا يصلح عمل المفسدين)) [يونس/81]، وقوله: ((والله يعلم المفسد من المصلح)) [البقرة/220] وقوله:((ألا إنهم هم المفسدون)) [البقرة/12].

وطالما ان الدولة بما فيها الدولة الإسلاميه هي دولة بشرية وليست دولة الهية، ورعاياها هم بشر وليسوا ملائكة، وحاكمهم غير معصوم لانه ليس بنبي ولا رسول، فانه يمكن ان يخطئ ويصيب، ويمكن ان يقع منه ما يقع من أي بشر من السهو والنسيان والكذب والخيانة والمعصية والفساد والافساد واكل اموال الناس بالباطل وغير ذلك من الموبقات والمعاصي لانه بشر، وهو ما ينسحب بدوره على بقية العاملين في جهازي الحكم والادارة، فيمكن ان يحصل منه ما يبغضه للناس، ويلعنونه بسب ظلم ومعصية وعدم الانصاف، وابعد من ذلك، فانه ما يصدق على الحاكم، فانه من باب اولى ينسحب على من هم ادنى منزلة منه في جهاز الدولة، وبالتالي، فان طاعة الحاكم ومن هم دونه فرض ما لم يؤمر بمعصية، قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: ((على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) (رواه مسلم).

وتحذر نصوص القرآن من شيوع الفساد وانتشار مظاهره في جهاز الحكم والادارة ليس فقط من خلال الاحكام الشرعية التي توجب على الرعية عدم طاعتهم ومحاسبتهم والانكار عليهم وحتى خلعهم، وانما ايضا من خلال تثبيت سنة من سنن التاريخ، وتقرير "القانون" الذي يحكم حركة الامم والشعوب رقيا واضمحلالا وتفككا، فالله سبحانه وتعالى يحذر ان من اهم اسباب انهيار الامم وزوالها وتفككها وتفسخها

8. القرطبي، الجامع لاحكام القران، في :شبكة مشكاة الاسلامية: www.almeshkat.net
9. الطبري، جامع البيان عن تأويل اي القران، في شبكة مشكاة الاسلامية، العنوان السابق نفسه.

شيوع مظاهر الفساد في الدولة. قال تعالى في القرآن الكريم: ((وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) [الاسراء/ 16]. يبين الاسلام في تأصيله النظري للفساد ومظاهره ونتائجه بأن رابطا بين الفساد وشيوعه من جهة، وبين تفكك الامم واضمحلالها من الجهة الاخرى. في علاقة سببية لا ينفع معها كون هذه الشعوب مسلمة او غير مسلمة. حتى ان ابن تيمية يقول: "امور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل اكثر مما تستقيم مع الظلم. فالله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة. ولا يقيم الدولة الظالمة المترفة والفاسدة وان كانت مسلمة. فالدنيا تدوم مع العدل والكفر. ولا تدوم مع الظلم والاسلام"[10].

ان من اعظم الركائز والاسس التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الاسلامية "العدل" مصداقا لقوله عز وجل: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) [النساء / 58]. وقد انبثق من العدل ونصوصه تفريع لا يقل اهمية عن الاصل. وذلك في الركيزة الثانية التي يجب توافرها في الدولة وهي الامانة ونزاهة يد الحاكم قبل المحكوم. فقد اثبتت النصوص التشريعية ضرورة وجوب ترفع كل موظفي الدولة عن النهب والغش والتخوض واكل الاموال العامة. وان وقع أي منهم في مواضيع الفساد. فان ذلك يعرضه للمحاكمة والقضاء والمساءلة وجوبا. وفي ذلك نصوص مطولة نقتطف منها:

1. قول النبي الكريم: ((لا يحل للخليفة الا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها)) (اخرجه احمد) وهي دليل واضح على عدم مد اليد الى الاموال العامة وبيت مال المسلمين. وقد وردت روايات واثار كثيرة حول حفاظ الخلفاء في الدولة الاسلامية على اموال الدولة وممتلكاتها. فالفاروق عمر كان يشعل سراجه الخاص اذا لم يكن يعمل على شئون الدولة. فيما كان يشعل السراج الذي يأتي زيته من بيت المال حين يعمل على تصريف شئون الرعية ليلا.

2. يروى عن الامام علي كرم الله وجهه انه كان يقول للولاة وموظفي الدولة: "لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء. فان ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان. وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة".

10. ابن تيمية . مجموعة فتاوي. مجلد 28 . ص 146 .

الإسلام وتصديه للفساد

تصدى الاسلام لموضوع الفساد ومظاهره واشكاله، وسبل مكافحته واستئصاله بالاجراءات الوقائية والعلاجية. فطالما ان الاسلام قد جاء من اجل الانسان، والنهوض به، والرقي باوضاعه، وحدد جملة من الاجراءات والاحتياطات العامة التي تعين وتساعد في ايجاد بيئة وثقافة طاردة للفساد، منها:

النزاهة

الخطوط العامة لبناء الانسان وشخصيته وتحصينه ومنظومة القيم والأخلاق

تعتبر وفضائل الاخلاق الاسلامية التي يجب وينبغي التقيد بها بإعتبارها من اهم المرتكزات في مكافحة الافات الاجتماعية والبشرية بما فيها الفساد بمختلف اشكاله، فشخصية الانسان تتكون من عقليته ونفسيته، وتعتبر قيم التقوى والاستقامة وخلق الامانة، والاخلاص واتقان العمل، وحفظ الحقوق العامة والاموال العامة، وعدم التعدي على حقوق الغير (خاصة او عامة)، وهذه ليست قيما نسبية، وانما هي قيم ثمينة مطلوبة لذاتها، وحقيقية، ومطلقة، كما أن أداء الأمانة واجب وخيانتها حرام، وكلما عظمت الأمانة عظم الذنب في تضييعها.

وفي المفاهيم الحديثة برز مصطلح **النزاهة** والذي عبر عنه بأنه مجموعة القيم المتعلقة بالصدق والأمانة والإخلاص في سلوك العاملين في العمل بحيث يتم معاملة الجميع باحترام وتقديم الخدمات لهم بعدالة وامانة ودون تمييز أو انحياز بسبب اللون او المعتقد الديني او الانتماء السياسي او الجهوي والعائلي. فالنزاهة هي التصرف بمهنية وموضوعية في ادارة الشأن العام مع تغليب المصلحة العامة على الخاصة عند اتخاذ القرار والالتزام بجميع الاجراءات والضوابط عند تقديم الخدمة للجميع دون تمييز او واسطة او محسوبية وعدم الحصول على اية مكانة ذاتية عند تقديم الخدمة، اضافة الى الحرص والمحافظة على المال العام والابلاغ عن اي جهة تقوم بتبديه واستخدامه دون وجه حق. ويتطلب توفير النزاهة توفير عدد من الضمانات التي تقف في وجه مظاهر الفساد المختلفة وتضمن عدم وجود تضارب في المصالح، والا فان النتيجة النهائية تكون تحقيق المصالح الخاصة والشخصية على حساب المصلحة العامة.

العدالة

اشتراط تحقق صفة العدالة والقدرة في أي موظف عام او حاكم

إن اسباب ظلم الانسان لنفسه ولغيره ولمجتمعه وامته متعددة، بيد ان مرجعها هو الهوى والنفس الأمارة بالسوء، وما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم، قال تعالى:((فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[الانعام/45]. والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فعن ابي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله: ((إن الله عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته)) (متفق عليه). ومن الطبيعي ان الفساد في جوهره هو عبارة عن ظلم الناس اما بتأخير معاملاتهم من قبل الموظف العام لابتزازاهم لدفع الاموال واكلها بالاباطل لاتمامها، واما ان يكون بعدم تقديم الخدمة لمستحقيها، واما بمنع شخص من التسابق على وظيفة واستخدام الوسطة والمحاباة لتوظيف اخرين بدلا من الشخص المتقدم، وهذه عين الظلم.

استطردت كتب الاحكام السلطانية والولايات الدينية[12] في بيان شروط وصفات الاشخاص الذين يشغلون مناصب الحكم (الخليفة والوالي والعامل والوزير والقضاء) او مناصب الادارة في الوظائف العامة كلها في دوائر الصحة والتعليم والتجارة والصناعة والمياه وغيرها، الا انه ينبغي الاشارة الى صفة مهمة اتفق عليها كافة الفقهاء والمهتمين بالسياسة الشرعية والولايات الدينية هي اشتراط صفة "العدل والعدالة" الى جانب الصفات الاخرى لكل من يتولى منصبا عاما في الحكم او الادراة او القضاء، والعدل هو خلاف الجور، يقال: عدل في القضية فهو عادل، وتعديل الشيء: تقويمه، ويقال: عدلته فاعتدل، أي قومته فاستقام، فالشخص العادل هو الذي يكون مستقيما في السيرة والاعمال والدين، يقول الامام الغزالي حول هذه الصفة: "العدالة هي هيئة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى" وقد تم قياس العدالة على الشهادة وقبول رواية الصحابة للحديث، وجرت العادة بان كل من يرتكب حرمة فيغتصب المال الخاص او العام مثلا لا تقبل شهادته لانها من امارات فسق مرتكبها ولا يعين ولا يوظف في سلك الدولة الا اذا كان متأولا للفعل، وهو امر حاسم في منع الفساد واجراء وقائي لكل من يرتكبه بعقوبته عقوبة رادعة ناهيك عن عقوبته على فعل الفساد بعينه.

واجب المساءلة والمحاسبة

شدد الاسلام على ان تكون بطانة الشخص الذي يتولى مواقع الحكم او الادراة العليا بطانة صالحة تأمره وتنهاه، وبطانة الشخص هم أهله وخاصته وحاشيته وأهل ثقته، ممن يحيطونه ويلازمونه وهم مقربوه، إن بطانة الشخص المسؤول والموظف في المناصب الرفيعة العامة ان كانت حسنة فستعينه على اداء واجباته وتمنعه من

12. انظر مثلا: ابو الحسن الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، (بيروت: دار الكتب العلمية، بزس) ص: 6 .

مخالفة القوانين، فهي تحاسبه، وتذكره، وتردعه، والا فانها توره المهالك بتزيين طريق الفساد والافساد والرشوة والاختلاس والغنى السريع ونهب الاموال العامة والمحاباة والواسطة، فتلعب دورا مباشرا في افساده وضلاله ولذلك فإن المسؤول مساءل عن أعمال أعوانه.

بيّن الرسول مسؤولية الخليفة عن رعيته في الحديث الذي بيّن فيه المسؤولية العامة بحقه، اذ روى البخاري عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: ((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، وبهذا تكون المسؤوليات العامة قد تحددت، ولذلك، فان من السهولة بمكان طبقا لهذا التحديد بان يجري مساءلة الحكام والموظفين عن تلك المسؤوليات في حالة اي حيد او انحراف او تفسير متناقض، لانه بدون تحديد الصلاحيات والمسؤولية العامة تبقى الامور مفتوحة للاجتهادات، وتكون مرهونة بقوة الحاكم والموظف العام وربما بطشه، او مرتبطه بضعفه.

المساءلة في الإسلام ليست محصورة في إدارة ولا جهاز، رغم انه لا يمنع، شرعا، ان يوجد مثل هذا الجهاز في الادارة والحكم، وإنما تتطلب أن تصبح جزءاً من ثقافة يجب أن تسري في الأمة، وهي واجب من الواجبات وفرض من الفروض، فيجب ان تكون من طباع الامة وسماتها المعروفة لاحقاق الحقوق، والوقوف في وجه اي خلل او فساد او تقصير في الحكم.

المساءلة واجب على الامة تجاه الحكام في اعمالهم وتصرفاتهم وقراراتهم، فالله امر المسلمين امرا جازما بمحاسبة ومساءلة الحكام اذا هضموا حق الرعية او قصروا بواجباتهم نحوها او اهملوا شأنا من شؤونها، المساءلة واجبة على الافراد والجماعات.

المساءلة تشمل اعتراض على القرارات والاراء والانظمة واوامر الحاكم واجراءات الجهات المناطة بها رعاية مصالح الناس بعد سنها وتشريعها واصدارها ولسوء تطبيقها إذا ماجرى مخالفتها في التنفيذ.

الإبلاغ عن الفساد

التبليغ عن الفساد لا يدخل في الغيبة والنميمة والاخلاق الذميمة، بل السكوت عن المفسدين ومن ينهبون المال العام، ومن يرتشون ويرشون، ومن يستولون ويتصرفون بالمال العام، ومن يستغل منصبه العام لتحقيق مآرب ومصالح شخصية هو متابعة لهم، وموافقة على عملهم، والساكت عنهم يعتبر موافقا على اعمالهم، المساءلة تقتضي الانكار باللسان والقلب، وليس اقل من التبليغ عن المفسدين.

ما سبق يظهر مدى انسجام مفهوم المساءلة في الوقت الحالي مع ما سبق، حيث تعّرف **المساءلة اليوم** بأنها واجب الموظفين العامين، سواء كانوا منتخبين أو معينين، بتقديم تقارير دورية عن نتائج أعمالهم، وتفسيرهم لقراراتهم، ومدى نجاعتهم في تنفيذها، حتى يتم التأكد من أن عملهم يتفق مع القيم وأحكام القانون، وأصول وقواعد العمل السليم. ويرتبط بمفهوم المساءلة، وينتج عنه مفهوم المحاسبة، والذي يعني خضوع الذين يتولون المناصب العامة للمساءلة القانونية والإدارية والأخلاقية إزاء قراراتهم وأعمالهم، ويتمثل ذلك بمسؤولية من يشغلون الوظائف العامة أمام مسؤوليهم بشرح قراراتهم التي اتخذوها وتبريرها، وهكذا حتى قمة الهرم في المؤسسة[14]. ويمكن ان تكون المساءلة عمودية والتي تتمثل بقدرة جمهور الناخبين على مساءلة ممثليهم عبر إعادة انتخابهم، أو عدم انتخابهم. كما ويمكن ان تكون المساءلة أفقية بحيث تشير إلى خضوع كل هيئة أو مسؤول للرقابة والمساءلة من قبل هيئة أخرى، بحيث لا يوجد أحد خارج المساءلة[15].

فهدف المساءلة يتمثل في الحصول على التفسيرات المطلوبة من أي موظف أو مسؤول ذي علاقة عن أي موضوع أو نشاط. وهذه التفسيرات يجب أن تقدم مع أكبر قدر من التفصيل والانفتاح[16] والإجابة عن أية استفسارات وتقديم توضيحات وتبريرات للنتائج، والاستعداد لتحمل المسؤولية عن هذه النتائج[17].

النجاة من الفساد تكون بمقاطعة الفاسدين ومؤسساتهم، وفي ذلك تغليظ وتشنيع على الفاسدين الذين يستغلون مناصبهم للتكسب ونهب اموال الناس، ويدعمه حديث يقول: ((سيكون امراء تعرفون وتنكرون، فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطهم هلك)) (رواه الطبراني وابن حبان). وذلك كله بشأن مخالطة الفاسدين وخلطتهم لأنها تترتب عليها محاذير عدة منها الاقرار على ما هم عليه من فساد وافساد وظلم، ومنها مالأتهم ومجاملتهم على باطلهم، والسكوت على بيان الحق فيما فسدوا فيه وافسدوا، ومنها تحسين باطلهم وفسادهم في اعين الناس وخصوصا ان كان المخالط من ذوي العلم والشرف فيكون سببا في اضلال الناس والتعمية عليهم و"تلميع" وجوه الفاسدين الكالحة.

14. منظمة الشفافية الدولية / المركز اللبناني للدراسات (تحرير واصدار)، نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد (كتاب المرجعية)، (لبنان: المركز اللبناني للدراسات، 2006)، ص 36.
15. نفس المصدر السابق، ص: 39-38.
16. مسودة الشرف للجمعيات الخيرية والمنظمات الأهلية الفلسطينية، حزيران 2006: المسودة الأولى.
17. ائتلاف امان، الدليل الارشادي لمصطلحات ومفاهيم الحكم الصالح (فلسطين: ائتلاف امان، 2010)، ص: 14

الشفافية

ولتفعيل المساءلة والمشاركة لابد من تمكين المواطن من الحصول على المعلومات المتعلقة بإدارة الشأن العام **بشفافية** ووضوح. فمصطلح الشفافية في وقتنا الحاضر يعني وضوح الأنظمة والإجراءات داخل المؤسسة وفي العلاقة بينها وبين المواطنين المنتفعين من خدماتها، مع ضمان علنية الإجراءات والغايات والأهداف في عمل المؤسسة العامة، وكذلك يتم ربط الشفافية بوجود سياسة عامة للإفصاح عن المعلومات، وضمان حق المواطن في الحصول على المعلومات اللازمة عن أعمال الإدارات العامة. اما مؤشرات الشفافية فتتمثل في: التزام قيادة وإدارة المؤسسة، على جميع المستويات، بنشر وتعميم، أو إتاحة، المعلومات المطلوبة للجمهور حول مجمل الأمور التي تخص جميع الإجراءات والقرارات والخدمات، ومجمل الأعمال التي تقدم من المؤسسة، وتوفيرها بشكل دوري دون طلب، أو أثناء الطلب، من أي شخص أو مهتم، وكذلك توفير المعلومات حول الأشخاص المسؤولين في المؤسسة من خلال وجود سياسة عامة للنشر والإفصاح عن المعلومات للجمهور المعني، ونشر تقارير دورية حول نشاطات المؤسسة وتمويلها وعلاقاتها، أي أن التركيز في هذا المجال يتم من خلال توفر البيانات والمعلومات والوثائق، ووجود سياسة عامة تحدد أسس الحصول عليها من قبل الجمهور.

أبرز أشكال الفساد الواردة في العقيدة الإسلامية

بينت الاحكام الشرعية عظم جرم كل من يأكل المال العام او استغل منصبه العام للحصول على منافع فردية خاصة، مادية او معنوية، ونظرا لخطورة الموضوع، واهميته، انتشرت في التراث الديني الفاظ مثل: الغلول، التخوض، الرشوة، السحت، الفساد، اكل اموال الناس بينهم بالباطل، المكس، الغصب، العفة، البرطيل، الكسب غير المشروع، الثروة وما لا يعتبره الاسلام ثروة، التملك والكسب غير المشروع وما لا يعتبره الاسلام ضمن الملكية لانه لم يتم حيازته او اكتسابه بالحلال، الريبة، املاك الرعية، الهبة، الهدية، اختلاس الاموال العامة، استحلال املاك الدولة، ونحوها، وهي مباحث تعج بها كتب الفقه والتشريع.

والملاحظ، بعد "التجول" في كتب الفقه واللغة، وجود نقاشات فقهية معمقة ومطولة وغير منتهية بين المذاهب والفقهاء حول تلك الالفاظ ومضامينها الشرعية وانطباقها على حالات محددة عينية اساسها العقيدة الاسلامية، وميدانها العلاقة بين نظام الحكم وموظفيه، ابتداء بالخليفة ونزولا عند اصغر موظف في الدولة، وبين جهاز الحكم والادارة وبين الرعية بهدف ارساء تلك العلاقة على قاعدة التقوى والعفة والاضطلاع بالمسئوليات العامة ومساءلة كل من تولى تبعة عامة وصولا الى نظام نزيه محصن من الفساد. **أما أبرز أشكال الفساد التي تطرقت لها النصوص التشريعية الاسلامية:**

أولاً: السحت

السحت هو ما خبث من المكاسب والذي يلزم منه العار، وهو مبالغة في الحرام، ومال السحت هو كل مال تالف وذاهب[18]. والسحت هو الحرام، وقد سمي بذلك لانه يسحت البركة اي يذهبها، والسحت أيضا في اللغة هو الاهلاك والاستئصال. وقد سمي كل مال حرام لا يجوز كسبه بأنه سحت.

وسمي مال الغلول سحتا ايضا[19]. ويرى المختصون بأن السحت أعم من الرشوة، لأن الرشوة عقد باطل تكون بين اثنين ووسيط بينهما، بينما السحت أعم من ذلك، فقد

18. بطرس البستاني، محيط المحيط، (بيروت: مكتبة لبنان، 1983) ، حرف السين، ص، 399.
19. الاصفهاني، مصدر سابق، مادة حرف "السين" .

يكون في غمط الحق عن صاحبه او تحريف الكلام عن مواضعه. فحيثما يوجد اثم وحرام من طرف واحد مع اضطرار الطرف الثاني فهو سحت كما روى البيهقي: سألت ابن مسعود عن السحت اهو الرشوة ؟ قال لا. ولكن السحت أن يستعينك رجل على مظلمة فيهدي لك فتقبله فذلك السحت.

ولا بد من التنويه الى ان "السحت" ينطبق على حالات كثيرة واشكال متعددة من الفساد، وهو مرتبط تماما بقضايا الفساد واشكاله سواء غمط الحق وعدم انصاف الناس في حقوقهم او غيرها من الاشكال.

والسحت لفظ عام، ويكافيء **مفهوم الفساد بمعناه الحديث**، ورغم كثرة التعريفات الخاصة بمفهوم الفساد في وقتنا الحالي، ووجود توجهات متعددة لتحديد هذا المفهوم على حد سواء[20]، إلا أنه يلاحظ وجود اتفاق بين الاطراف على تعريف الفساد الذي حددته منظمة الشفافية الدولية، حيث عرفته بأنه: "كل عمل يتضمن سوء استغلال المنصب العام من اجل تحقيق مكاسب ذاتية ومصالح خاصة". فكل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب او الموقع العام بهدف تحقيق مصلحة خاصة، مادية أو معنوية، ذاتية لنفسه أو جماعته، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، هو فساد، وينطبق عليه تعريف الفساد.

وبالتالي نجد أن جملة التعريفات الحالية للفساد وما تم التطرق له في التشريعات الاسلامية تتفق على عدة عناصر مشتركة وهي أن الفساد امر سلبي اجمالا ويرتبط في الذهن بمعنى البطلان ضد الصلاح قيميا، وهو يرتبط بشكل أساسي فيمن يديرون الشأن العام وما يوازيها من مسميات حديثة وقديمة.

20. قدم جملة من الباحثين والجهات عدة تعريفات مختلفة لمفهوم الفساد منها: المؤسسات الحقوقية، والبنك الدولي، واتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد لعام 2003 وتعريف المجلس التشريعي الفلسطيني للفساد عام 1997 لمزيد من التفاصيل انظر : عبير مصلح (اعداد)، النزاهة والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد. (فلسطين – رام الله: ائتلاف امان، 2007) . ص ص: 15 – 29.

ثانياً: التخوض

التخوض هو قيام كل من يتولى تبعة عامة ومنصبا عاما بالتصرف في الاموال العامة أو ممتلكات الدولة أو مرافق الجماعة نهبا وسرقة وتضييعا وسلبا واسرافا وتبذيرا وسفها مصداقا لقوله عليه السلام: ((أن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)) **(رواه البخاري)، وقال:** ((ليأتين عليكم امراء، يقربون شراء الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن ادرك ذلك منكم فلا يكونن عرّيفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا)) **(رواه ابن حبان) والعرّيف هنا (بتشديد الراء وكسرها) القائم بامور جماعة من الناس يلي امورهم (موظف عام)، والجابي هو الذي يجبي الاموال ويحصلها لصالح خزينة الدولة، والخازن الذي يقوم بمهمة حراسة ورعاية خزانة الدولة المالية واحصاء ما يدخل وما يخرج منها.**

ثالثاً: الغلول

ومن الالفاظ الهامة في موضوع الفساد التعبير القراني الفريد حول المال الغلول. والغلول هو سرقة المال العام، وقد اعتبر الاسلام هذه السرقة بمثابة الخيانة بعينها، فكل مال عام جرى نهبه او سرقته يسمى غلولا لان يدي فاعله مغلولة، اي ممنوعة من اخذه.

ويستفاد من مراجعة الايات ذات الصلة، بان النصوص الشرعية استخدمت مفهوم الغلول ليعني سرقة المال العام ونهبه، واخذ ما لا يحق للشخص اخذه. ويعرف مال الغلول بانه: كل مال يكتسبه الولاة والعمال وموظفو الدولة بطريق غير مشروع سواء احصلوا عليه من اموال الدولة ام من اموال الناس، فان الموظف العام لا يحل له الا ما تفرضه الدولة له من تعويض او راتب، وكل مال اكتسبه موظفو الدولة سواء بقوة القهر والسلطان او بحكم الوظيفة سواء اكان من مال الدولة او من مال الافراد يعتبر غلولا، وكسبا حراما، ومالا غير مملوك، لانه كسب بطريق غير مشروعة[22]. وابعد من ذلك، فالاسلام يعتبر كل هدية تدفع للموظف العام ممن لم يهد اليه من قبل، او كان لا يكافئ من قبل من احد، وكذلك كل ما اهدي لأهل الموظف او اقربائه، كل ذلك وامثاله هو مال غلول محرم وغير محترم وكسب غير مشروع بدليل قوله عليه السلام: ((لا نهب ولا اغلال ولا اسلال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)) **(رواه البخاري)، والاغلال هي السرقة الخفية والنهب من المال العام، والاسلال هي السرقة من المال الخاص. ويقول النبي ايضا:** ((أدوا الخيط والمخيط، وما دون ذلك، فان الغلول عار على اهله يوم القيامة وشنار وعار)) **(سنن الدارمي).**

22. عبد القديم زلوم، الاموال في دولة الخلافة، ط3 (بيروت: دار الامة، 2004)، ص 162 .

وزبدة القول هو ان الاسلام منع اي فرد من استملاك المال العام الا بوجه حق، فقد أكفأ النبي قدور الجائعين الذين كانوا قد نهبوا الاغنام قبل ان يقسمها، وأرمل لحومها، أي وضعها في الرمل لتصبح غير صالحة للاكل، ونهى ايضا عن الاستيلاء على الغنائم سرا وسماه ايضا غلول، ويظهر مدى التقريظ والتحريم حينما رفض الرسول محمد عليه السلام ان ينعت القتيل الذي غل عباءة في المعركة بانه شهيد، كما لم يصل الجنازة على عامل غل، الامر الذي جعل العلماء يصنفون جريمة اكل مال الغلول بانها من الكبائر، اضافة الى اعتبار الاسلام بان كل من يتخفى على غال ويستر امره، وكل من كتم اكلا للمال بالباطل فهو مثله (نظير عدم الابلاغ عن الفساد)، والنتيجة مفادها أن المتأمل في النصوص السابقة يجد، بدون صعوبة ولا عناء، بأن المال الغلول والسحت هو المفهوم الذي ينطبق تماما مع ما بات يعرف اليوم بمفهوم الكسب غير المشروع في الادبيات الحديثة، وعليه، فلا بد من ايلاء هذا المصطلح عناية اضافية لاماطة اللثام عن فحواه وتطبيقاته واشكاله.

ناهض الاسلام كل شخص غال، وقرعه بشدة، وحرمه، بما لا يدع مجالا لشك، او يترك نافذة لم يتطرق اليها، اما ادلة ذلك من القرآن الكريم فهي قوله تعالى: ((ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)) [آل عمران/161]، وقد قال المفسرون بأن تفسير الاية يعني تحريم الشارع لكل من يأخذ من المال العام بغير وجه حق، وللتغليظ على الفاعل، فان الاية رسمت صورة الغال بانه سيأتي يوم القيامة بما اخذ خيانة لوظيفته العامة يحملها على ظهره ورقبته، معذبا بحمله وثقله، مرعوبا بصوته، وموبخا باظهار خيانته على رؤوس الاشهاد، وقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم لا تعلمون)).[البقرة/205]

وبينما اتفق الفقهاء على ان من اخذ مالا، قل او كثر، فانه يعتبر فاسقا باتفاق، وانه اثم، الا ان استدلالات كثيرة وقعت حينما اختلف الفقهاء في تحديد مقدار المبلغ المغلول وهل هو 5 دراهم ام 200 درهما ام درهم واحد، وكيفية تقويم المال، ويلفت النظر في هذا المقال بالحديث الشريف والذي مؤداه: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)) (رواه الشيخان)، ويلفت النظر الى احد اوجه الخلاف الفقهي في تقدير عقوبة الشخص الذي يقوم بفعل الغلول وهو الشخص الغال استنادا الى فعل عمر بن الخطاب حيث قال رضي الله عنه: "اذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه"، فوقع الاجتهاد في امكانية حرق مال الغال او جلده او فضحه مع الاتفاق على وجوب رد المال الى صاحبه ان وجد، او مصادرة ذلك المال ووضعه في بيت مال المسلمين، او رد المال العام الى موضعه.

اما الاحاديث التي جاءت لمعالجة وبيان حرمة نهب المال العام واستغلال المنصب العام لتحقيق مكاسب خاصة فهي كثيرة منها: "عن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله يقول: ((من استعملناه منكم على عمل، فليجيئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى)) (رواه مسلم).

مما سبق، نرى أن **الغلول والتغوط** تتقاطع مع عدة أشكال فساد منتشرة في **وقتنا الحالي**، ومنها:

- **اهدار المال العام:** قيام الموظف باستعمال مقدرات المؤسسة المالية لغير هدف المؤسسة وبرنامجها (سواء أكانت مؤسسات عامة، أم خاصّة، أم أهلية، أو غيرها من مؤسسات المجتمع) كاستخدام سيارات المؤسسة ومعدّاتها وأجهزتها لأغراض شخصية، أو لتغطية مصاريف السفر والإقامة خارج البلاد دون وجه حق على حساب المال العامّ، أو استخدامها لأغراض انتخابية خلال الحملات الانتخابية.

- **اختلاس المال العام:** قيام موظف عمومي او من في حكمه بالاستلاء على المال العام عمدًا لصالحه هو، أو لصالح شخص أو كيان آخر، بحيث يستغل الموظف العام انه مؤتمن على المال العام فيختلسه لنفسه وذلك عن طريق اختلاس ممتلكات أو أموال أو أوراق مالية عمومية أو خصوصية أو أية أشياء أخرى عهد بها إليه بحكم موقعه.
- **الاستغلال الوظيفي:** يعرف استغلال النفوذ الوظيفي بأنه الاستفادة من السلطة مثل الحصول على منفعة خاصّة، من خلال استثمار المعلومات التي يفترض أنها سرية في المؤسسة، أو القدرة على التأثير بصورة غير قانونية أو غير مشروعة على قرار جهة أخرى. إن استغلال النفوذ الوظيفي يعرف على أنه السعي لدى السلطات العامّة لتحقيق منافع أو الوصول إلى غايات لا تقع في دائرة أعمال صاحب النفوذ.

رابعاً: اكل اموال الناس بالباطل

قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)) [البقرة/205]. وقد أختلف المفسرون والفقهاء في مدلول هذه الآية، ووجدت آراء كثيرة متشعبة لفهم مدلولها والحالات التي تشملها. وفسر البعض المعنى من "ولا تأكلوا اموالكم" قصد منه لا يأكل بعضكم مال بعض بغير الحق، وقد أكد الفقهاء بأن كل من أخذ مال غيره على غير الوجه الذي أذن الشرع به فقد أكله بالباطل.

ويذهب بعض المفسرين الى ترجيح أن هذه الآية تتعلق بالرشوة وذلك من تتمتها حينما أكدوا بأن الادلاء بهذه الاموال الى الحكام تعني الرشوة نظرا للاشتراك في التشبيه في كلمة "تدلوا" لمطابقة الصورة في الآية لصورة الراشي والمرتشي بطرفيها حيث قال: "وتدلوا بها الى الحكام"، والادلاء هو ارسال الدلو الى البئر ويكون بحبل وهو الذي يسمى رشاء، والمدلي به الراشي، والمدلى اليه المرتشي، وما في الدلو هو الرشوة. بيد أن النص جاء مخصصا الرشوة بالحكام مع أنها ليست قاصرة عليهم، وفسر ذلك لأنها منهم أعظم خطرا، فضلا على أن الحكام وموظفي الدولة هم مظنة الرشوة. وبعبارة أخرى، فإن تناسب اللفظين مع الاشارة الى الحكام جعل عددا من المفسرين يصرفون الآية الى الرشوة وليس سواها من جرائم الفساد، وإن اجازوا في الوقت نفسه أن تكون كل الاموال الباطلة داخلة ضمن نطاق التحريم بمفهوم هذه الآية.

بينت الاحكام الشرعية عظم جرم كل من يأكل المال العام او من استغل منصبه العام للحصول على منافع فردية خاصة، مادية او معنوية. ونظرا لخطورة الموضوع، واهميته، حفلت النصوص بالفاظ مثل: الغلول، التخوض، الرشوة، السحت، الفساد، اكل اموال الناس بينهم بالباطل، المكس، الغصب، العفة، البرطيل، الكسب غير المشروع، الثروة وما لا يعتبره الاسلام ثروة، التملك والكسب غير المشروع وما لا يعتبره الاسلام ضمن الملكية لانه لم يتم حيازته او اكتسابه بالحلال، الريبة، املاك الرعية، الهبة، الهدية، اختلاس الاموال العامة، استحلال املاك الدولة، ونحوها. وهي مباحث تعج بها كتب الفقه والتشريع.

ان مفهوم **"الكسب غير المشروع"** لم يعرف في الفقه الإسلامي بالصيغة الحديثة والذي يقصد به " الزيادة غير المبررة على ثروة الموظف أو شاغل المنصب العام، وبعبارة أخرى المال الذي يحصل عليه لنفسه أو لغيره كل من يمارس العمل العام أو يتصل به بسبب استغلاله للنفوذ الذي يخوله له هذا العمل". ولفت النظر الى أن مفهوم الاسلام حول الكسب الحرام او الكسب غير المشروع مفهوم واسع وعام يشمل كافة اشكال الفساد في هذا العصر وليس فقط جريمة الكسب غير المشروع المتمحورة أساساً في الوظيفة العامة والموظفين العموميين كما بات يعرف في الادبيات الحديثة، تلك التي تربط هذه الجريمة باستغلال الفرد لإمكانيات اتصاله بالمال العام وذلك بغية الوصول إلى تحقيق تلك المكاسب غير المشروعة[24]. أو **استثمار الوظيفة العامة** والمقصود بها استغلال الموظف العام للصلاحيات الممنوحة اليه بموجب المنصب والوظيفة العامة للحصول على مكاسب شخصية.

24. ماجد الشهري، احكام جريمة الكسب غير المشروع: دراسة مقارنة، (الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود، 1425).

خامساً: الرشوة

قال ابن الاثير بان الرشوة هي الوصلة الى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرشاء وهو الذي يتوصل به الى الماء، والراشي هو الذي يعطي، والمرتشي هو الاخذ، والرائش هو الذي يسعى بينهما[25]. وتعرف الرشوة بانها: "بانها كل مال يدفع للوالي او العامل او القاضي او موظف الدولة من اجل قضاء مصلحة من مصالح الناس يجب قضاؤها من غير دفعة". والرشوة قد تؤخذ مقابل قضاء مصلحة يجب قضاؤها بدون مقابل، ممن يجب عليه ان يقضيها من موظفي الدولة، وقد تؤخذ مقابل عدم القيام بعمل يجب القيام به، وقد تؤخذ مقابل القيام بعمل تمنع الدولة القيام به، ولا فرق في المصلحة بين ان تكون جلب منفعة ومصلحة او دفع مضرة ومفسدة، وسواء اكانت حقا ام باطلا، وسواء اكانت عينا ام منفعة، فالرشوة في الواقع هي التربح من الوظيفة[26].

سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ((أكالون للسحت)) أهو الرشا؟ قال لا انما هو هدايا العمال (موظفي الدولة)[27]. وقد عرف ابن حجر العسقلاني الرشوة بانها: كل مال دفع ليبتاع به من ذي جاه عونا على ما لا يحل، وعرفها الجرجاني: "ما يعطى لابطال حق او لاحقاق باطل".

والرشوة كلها حرام مهما كان نوعها، كثيرة او قليلة، وبأية طريقة دفعت، وعلى أي معاملة من المعاملات اخذت بدليل من السنة: فعن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: ((لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم)) (رواه ابو داود)، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لعنة الله على الراشي والمرتشي)) (رواه الترمذي)، وعن ثوبان قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش بينهما)) (رواه احمد)، والاحاديث في هذا الباب كثيرة.

ان هذه الاحاديث كلها صريحة منطوقا ونصا في اثبات حرمة الرشوة تحريما باتا، فكل مال يكسب بطريق الرشوة يعتبر باطلا، ومالا حراما، ويعتبر غير مملوك، وتجب مصادرته ووضعه في خزينة الدولة وبيت المال، لانه كسب بطريق غير مشروع، كما وتجب معاقبة من اخذه، ومن دفعه، ومن توسط بينهما[28]، وقيل ترد الرشوة الى مالكها وصاحبها لانها مقبوض بعقد فاسد، فلا خلاف في ان الاسلام قد حرم الرشوة تأبيدا، واعتبرها عملا لا اخلاقيا ويتنافى مع التقوى ومع صالح المجتمع، كما ورأى الفقهاء بان اطلاق تسميات اخرى على الرشوة لا يغير من واقعها شيئا مثل العمولة او الهدية

25. عطية محمد سالم (قاضي بالمحكمة الكبرى في المدينة المنورة) الرشوة.
26. زلوم، مصدر سبق ذكره، ص 118 .
27. الجصاص . احكام القرآن . ج 2/ 363
28. المصدر السابق نفسه .

او الهبة. فهي عقود فاسدة ويجب ردها الى ارباباها[29]. كما افتى علماء بان الاختيار عن طريق الانتخاب المباشر يجب ان يوضع في مكانه الصحيح فوق المساومات والبيع والشراء. فان شراء الاصوات في الانتخابات لا يجوز للمرشح او الناخب لانها في واقعها رشوة. وهي سحت. الى يوم القيامة. وينطبق عليها قوله تعالى: ((ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام ...)) الاية. فعملية شراء الاصوات في الانتخابات حرام شرعا وهي رشوة. ولا يكاد يوجد عالم او فقيه يقول بعكس تحريمها ولعن من يتصف بها.

سادساً: الهدايا والهبات

الهدية هي ما يبعث للغير اكراما. ومع ان الهدية قد تكون دليل على الحب والصفاء. وفيها اشعار بالتقدير والاحترام. وبالرغم من ان النبي محمد عليه السلام قبلها من المسلم والكافر. وقبلها ايضا من المرأة والرجل. كما حث على التهادي وقبول الهدية حتى لو كانت قليلة. كما حث على التهادي بين الازواج. بالرغم من كل ذلك. الا ان هناك هدايا لا يجب قبولها ولا عرضها ابتداء. ويصف الفقهاء موانع الاهداء ورفض الهدية بما يلي[30]:

1. ان كانت بمثابة رشوة لابطال الحق و/ أو اثبات الباطل مثل رد النبي سليمان عليه السلام لهدية ملكة سبأ لانها كانت رشوة في الدين حتى يسكت سليمان عن عبادتها للشمس.
2. اذا كانت الهدية للامراء والوزراء والمسئولين والقضاة والشرطة وموظفي الدولة. فلا تجوز بحال من الاحوال. لانها مدخل للفساد والافساد.
3. اذا كانت الهدية شيئا مسروقا او حراما.
4. اذا كانت الهدية انما اهداها صاحبها ليأخذ هدية اكبر منها.

فالهدايا والهبات المحرمة هي كل مال يقدم الى الولاة او العمال او القضاة او موظفي الدولة على سبيل الهدية او الهبة. وهي مثل الرشوة. لا يحل للوالي او العامل او القاضي او الموظف اخذها. وحتى لو لم يكن لمن اهداها او وهبها مصلحة آنية يريد قضاءها. فهو لانه يمكن ان يكون طامعا في نيل حظوة او في قضاء مصلحة حين حصولها فيما بعد. وتعتبر الهدايا والهبات لموظف الدولة غلولا وسحتا لجملة عريضة من الادلة نقتطف منها الادلة التالية:

29. ابن قدامة المقدسي. المغني. على شبكة مشكاة الاسلامية. مصدر سابق .
30. مصطفى العدوي. فقه المعاملات قسم الهدية واحكامها على شبكة مشكاة الاسلامية

1. اخرج البخاري في صحيحه عن ابي حميد الساعدي قال: استعمل (وظف) النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة (لجمع الزكاة). فلما قدم الى المدينة قال للنبي: هذا لكم وهذا اهدي لي. قال النبي: ((فهلا جلس في بيت ابيه او بيت امه فينظر يهدى له ام لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأخذ احد منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تعير، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة ابطيه وقال، اللهم هل بلغت ثلاثا))[31]. وقد فسر هذا الحديث بان كل من يأخذ شيئا في الدنيا بسبب منصبه العام يأتي به يحمله على عنقه. فمن اخذ سيارة مثلا يأتي بها على عنقه. ومن اخذ ارضا يأتي بها على عنقه. ومن اخذ مبلغا من المال يأتي به على عنقه. ويقال كثيرا بان من ياخذ هدية انما تكون بسبب منصبه العام ووجاهته خاصة ان مراقبة حال الشخص بعد يوم واحد من التقاعد او الاقالة توضح واقع الحال. فان من اهداه بالامس لا يكاد يلقي عليه السلام في الغد اذا اعفي من منصبه. قال الامام النووي في شرح الحديث: انه بيان ان هدايا العمال وموظفي الدولة حرام وغلول حيث بين النبي في نفس الحديث ان سبب تحريم الهدية والهبة انها بسبب الولاية والوظيفة العامة وذلك بخلاف الهدية لغير موظفي الدولة فانها مستحبة ومندوبة. يؤجر فاعلها. واما ما يقبضه الموظف باسم الهدية فيجب ان يرده الى مهديه. فان تعذر فالى بيت المال.

2. وعن حذيفة ان النبي عليه السلام قال: ((هدايا العمال سحت وغلول)) (رواه ابن عساكر). وعن ابي حميد الساعدي ان النبي قال: ((هدايا العمال غلول)) (رواه الاربعة واحمد). وقال النبي محمد عليه السلام ايضا: ((هدايا العمال حرام كلها)) (رواه ابو يعلى). وقال: ((هدايا الامراء سحت)) (رواه الخطيب). وقال: ((من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما اخذ بعد ذلك فهو غلول)). وقال ايضا: ((الهدية الى الامام غلول)) (رواه الطبراني).

قسم اخر من العلماء يدخل الهبات والهدايا لموظفي الدولة في باب الرشوة. ويذهب الفقهاء الى ان "الاكرامية" او "الحلوان"، بالتسمية العامية الدارجة. لكاتب المحكمة مثلا او لمن يعقد الزواج. فانها كذلك تدخل في باب المال الغلول والحرمة لانطباق الحديث (ابن اللتبية) السابق عليه. فلا يجب تقديم اكراميات للموظفين. ويحرم عليهم ابتداء اخذها من قبلهم عداك عن طلبها ليكون التحريم مضاعفا. ومنه قيل بانه لا يجوز للقاضي ان يقبل الهدية وان قلت سواء ممن كان يهدى اليه من قبل ام لا. لان له اهلية الالتزام. حتى ان شعار الامام الشافعي بان العمال وموظفي الدولة لا يجوز لهم ابدا

31. البخاري . صحيح البخاري . كتاب الهبة. حديث رقم (2407)

قبول هدايا الناس لانها ان كانت لاستعجال اخذه حقه فان الله اوجب على العامل ذلك، وان كانت لان يأخذ باطلا، فحرام اخذها، وحتى لو قبل الموظف العام الهدية فانها تصادر وتوضع في بيت مال المسلمين او تجعل لاهل البلاد، ولا يجوز بحال ان يأخذها الموظف العام، واباح الامام الشافعي قبول الهدية في حالة واحدة فقط هي قيام الموظف العام بدفع ثمن تلك الهدية.

سابعاً: الاموال التي يستولى عليها بالتسلط وقوة السلطان

وهي الاموال التي يستولى عليها الحكام والولاة والعمال واقاربهم وموظفو الدولة من اموال الدولة او اراضيها، او من اموال الناس وممتلكاتهم، بالقهر والتسلط والغلبة، وبقوة السلطان والمنصب، وكل مال يستولى عليه، وكل ارض يستولى عليها، سواء من اموال الدولة واراضيها او من اموال الناس الخاصة واراضيهم، باية طريقة من هذه الطرق يعتبر كسبا حراما.

والاموال والاراضي التي يستولى عليها ان كانت من املاك الناس، وعرف اصحابها، وجب ردها اليهم، اما ان لم يعرفوا، فانه يتوجب وضعها في بيت المال، اما ان كانت من املاك الدولة، فانه يجب ان ترد الى بيت المال كما رد عمر بن عبد العزيز عندما تولى الخلافة جميع الاموال والاراضي التي استولى عليها بنو امية بقوة سلطانهم حيث جرد بني امية من اقطاعياتهم ومخصصاتهم ومن جميع ما استولوا عليه مع الاشارة الى انه قد بدأ بنفسه، فتخلى عن جميع امواله واملاكه ومراكبه ومتاعه ثم باع كل ذلك بـ 23 الف دينار ووضعها في بيت المال[32].

لقد ابتلى المسلمون في العصر الاموي فصاعدا بشيوع ظاهرة استغلال بطانة الحكام وموظفي الدولة الكبار واقرباء الحكام وذويهم وبطانتهم لنفوذهم ومناصبهم للاستيلاء على اموال الدولة العامة واراضيها ومقدراتها اضافة الى الاستيلاء على اموال الناس الخاصة واراضيهم، وخشي الناس العاديون والبسطاء من التقدم للقضاء او للحاكم بالشكوي والتظلمات، كما امتنع بعض القضاة عن النظر في هذا النوع من القضايا خشية غضب من بيدهم النفوذ والمناصب والقوة، وقد كان هذا سببا كافيا لانشاء قضاء المظالم وفصله عن الخليفة والحكم، واحاطته بالهيبة والقوة اللازمة لاظهار هيبة هذا القضاء الذي ينظر في التظلمات الواقعة من جهاز الحكم والادارة على الرعية، وهو ما سيأتي بيانه لاحقا في هذه الدراسة.

32. زلوم، مصدر سبق ذكره، ص 119 .

ثامناً: السمسرة والعمولة لموظف عام (في الأعمال العامة)

هي كل مال يكسبه الولاة والعمال وموظفو الدولة سمسرة او عمولة من شركات اجنبية او محلية او افراد او شركات مقابل تسهيل عقدهم صفقات او تعهدات بين الدولة وبينهم. وكل مال يكسبونه عن هذا الطريق يعتبر غلولا وسحتا وكسبا حراما، ولا يملّك، ويجب وضعه في بيت مال المسلمين لانه كسب غير مشروع. ان واقع تلك العمولات والسمسرة انها تعطى لموظفي الدولة دون معرفة الدولة، ومن وراء ظهرها، وهي بمقام الرشوة تقدم لهم حتى تتمكن الشركات او الافراد من الحصول على عقود الصفقات، او الحصول على عقود التلزيم للقيام بالمشاريع بالشكل الذي يحقق مصالحهم لا مصالح الدولة والامة[33].

ان هذا الامر يتصل بموظفي الدولة الكبار الذين يشغلون مناصب عليا في الدولة او بطانتهم او من هم في حكمهم، ومن المحتمل ان يتسرب اليهم الضعف، فيستخدمون مواقعهم ونفوذهم من اجل سمسرات وعمولات، وهو اكثر ما يظهر في العطاءات والتعهدات وما يمكن تسميته بعمولات. ولم يكن كافيا ان يجري ضبط هذه العمليات من عطاءات بانظمة ولوائح فقط، وانما جاء التشديد على ان اي مال يزيد عن ما هو مقرر لمن يعمل في جهاز الدولة فهو بالتأكيد غلول وسحت، وهو مال حرام، فلا يدخل احد مالا حراما يطعم به عياله واطفاله، وانما كان هذا الخطاب الشرعي ليكشف ظهر كل من يقوم بهذه الامور، ويعرضه للمساءلة القانونية، والجزاء والعقاب والقضاء، والعقوبة التعزيرية ان ثبت جرمه وتم ادانته.

تاسعاً: الاختلاسات

هي الاموال التي يكتسبها الولاة والعمال وموظفو الدولة اختلاسا من اموال الدولة الموضوعة تحت تصرفهم لقيامهم باعمالهم، او لقيامهم بالاشراف على الانشاءات والمشاريع او غيرها من مصالح الدولة ومرافقها، ويلحق بذلك ما ياخذه موظفو الدولة في فروع البريد والهاتف والمواصلات والنظافة وغيرها من الدوائر من الناس زيادة على الاجور المقررة لهم سواء بطريق الاستغفال او الغش او التزوير او التخجيل. ان كل هذه الاموال التي تكتسب بطريق الاختلاس من اموال الدولة او بطريق الاستغفال او الغش او الاكراه من الناس تعتبر كسبا حراما، وهو من الغلول والسحت، وتجب مصادرته ووضعه في بيت المال او رده لاصحابه ان علموا[34]. فضلا ان ذلك يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والتحقيق والقضاء والعقوبة ان ثبت اختلاسه. وقد غاصت كتب الفقه للتفريق بين السرقة والغصب والاختلاس والنهب وهي مبسوطة في كتب الفقه لمن احب الاستزادة.

33. المصدر السابق نفسه .
34. انظر: وهبة الزحيلي، الفقه على المذاهب الاربعة، على موقع: صيد الفوائد www.saaied.net

تختلط أشكال الفساد سالفة الذكر مع أشكال أخرى انتشرت في وقتنا الحاضر ومن الامثلة عليها **الواسطة** وهي التدخل لصالح فرد ما، أو جماعة دون الالتزام بأصول العمل والكفاءة اللازمة مثل تعيين شخص في منصب معين لأسباب تتعلق بالقرابة أو الانتماء الحزبي رغم كونه غير كفؤ أو غير مستحق لهذا المنصب. وكذلك **المحسوبية** وهي تنفيذ أعمال لصالح فرد أو جهة ينتمي لها الشخص مثل حزب أو عائلة أو منطقة ...الخ. دون أن يكونوا مستحقين لها أو مؤهلين للحصول عليها.

أجهزة مكافحة الفساد في الاسلام

الاصل في الحكم على المال في الإسلام هو طريقة امتلاكه وكسبه بحلال او حرام، وكيفية انفاقه بحلال او حرام ايضا. فكما حرم الاسلام الاعتداء على المال ايا كان، وجعل له حرمة كبيرة وعقوبات مغلظة، فان المال العام محمي ايضا ومصان مثل حماية المال الخاص، بل ان المال العام اشد حرمة وصيانة من المال الخاص لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المالكة له. لذلك، حرم النبي الكريم مال الغلول والسحت واكل اموال الناس بالباطل والتخوض بكافة اشكالها من الرشوة وهدايا الموظفين العموميين والاختلاسات والعمولات وغيرها من الاشكال، جاعلا حرمة المال العام اعظم عند الله تعالى. ويرى الاسلام ان من كسب ثوبا من حرام فصلى فيه لم تقبل صلاته، وان نمى جسده من سحت او غلول او غصب او نهب فالنار اولى به. بيد ان الاحكام الشرعية لم تقف عند هذا الحد، فان من لم يزعه القران ولم تردعه التقوى والاخرة، فان الدولة والسلطان اولى بردعه وزجره ورده الى الحق، وقد تضمن الاسلام اجهزة من عملها مراقبة الفساد والمفسدين، والسهر على احسان تطبيق الاسلام واحكامه، ومراقبة تصريف الشئون العامة.

1. محكمة المظالم

كانت القضايا التي تتعلق باعمال الاشخاص الرسميين، كرئيس الدولة واعضاء الهيئة التنفيذية والولاة واعضاء مجلس الشورى وسائر موظفي الدولة، ينظر فيها قاض خاص هو قاضي المظالم، وهو قاضي ينصب لرفع كل مظلمة تحصل على أي مواطن من الدولة او من احد موظفيها. وقد عين الماوردي(35) عشرة اشياء تنظر فيها محكمة المظالم اهمها القضايا التي يرفعها الناس والمظلومين ضد أي شخص يعمل في جهاز الدولة اذا تعلقت القضية باعمالهم في الدولة. ومن القضايا التي تنظر فيها محكمة المظالم: الرشوة، والفساد، وسوء استغلال المنصب ونحوها من المظالم. لذلك يعرف قضاء المظالم بانه: "الاخبار بالحكم الشرعي على سبيل الالزام فيما يقع بين الناس وبين الخليفة او احد معاونيه او ولاته او موظفيه وفيما يقع بين المسلمين". ودليله الشرعي قول النبي محمد عليه السلام: ((واني لارجو ان القى الله ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمته اياها في دم ولا في مال)) (رواه احمد)(36).

35. الماوردي، مصدر سابق، باب محكمة المظالم،ص ص: 97 - 119 .
36. تقي الدين النبهاني، نظام الحكم ، ط 2 ، (القدس: منشورات حزب التحرير، 1953)، ص ص: -14 16 واجهزة دولة الخلافة، مصدر سابق، ص: 109 - 110

وقضاء المظالم هو النوع الثالث من القضاء في الجهاز القضائي الاسلامي بعد قضاء فصل الخصومات بين الناس في المعاملات والعقوبات، وقضاء الحسبة المتصل بكل ما يضر حق الجماعة. ويطلق على الشخص الذي يتولى قضاء المظالم اسم "قاضي المظالم" ويختص عمله بالنزاعات بين الرعية من جهة، وبين والحكام والموظفين في اعمالهم من جهة اخرى.

ان المظالم جمع مظلمة، وسميت محكمة المظالم بذلك لانها تنظر في مظالم الناس وازالة اسبابها. ومظالم الناس تأتي من الدولة نفسها: من رئيسها او أي واحد من جهاز الحكم فيها، او من موظفيها ومن ظلم الافراد. وتعتبر محكمة المظالم بمثابة اعلى هيئة قضائية في الدولة الاسلامية. وقد كان الخلفاء الاولون هم الذين ينظرون في قضايا المظالم متى رفعت اليهم، بيد انه لم يتم تعيين يوم خاص لذلك، ولا ساعة معينة لسماع المظالم، فكان الخلفاء ينظرون في شكوى المتظلم وشكايته في كل وقت يأتيه، ويعمل على انصافه في الحال. وكان عبد الملك بن مروان يجلس للنظر في المظالم بعد ان افرد يوما معينا لذلك، وكان يأخذ رأي قاضيه ابن ادريس الازدي فيما يستعصي عليه من مشكلات، ثم عينه قاضيا للمظالم بعد ذلك، وصار يحيل اليه المشكلات ليحلها، فانفرد قاضي المظالم عن الخليفة ليكون الازدي اول قاض للمظالم. وقد عنى المهدي في زمن الدولة العباسية عناية فائقة بالمظالم، واحيطت بابهة وتعظيم كبيرين.

يؤكد فقهاء الاحكام السلطانية ان الخليفة بنفسه هو كان من يتولى محكمة المظالم في الصدر الاول من الدولة الاسلامية ثم بعد ذلك تم تعيين احد الفقهاء ليكون قاضيا على المظالم[37]. ونص الفقهاء بصراحة ووضوح على ان الخليفة اذا اخل بشرع الله استحق العزل بدليل: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وقول ابي بكر: "اطيعوني ما اطعت الله فيكم، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم"[38] ويستشهد عامة المجتهدين والفقهاء من الاية: ((يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله)) بان ليس المراد هنا تنازع افراد الامة مع بعضهم، بل المراد تنازع المؤمنين مع اولي الامر، أي اطيعوا اولي الامر منكم، فان تنازعتم معهم في شيء فردوه الى قضاء الله ليطلق الحكم، ومعلوم ان الذي يفصل في المسائل هو القاضي، فكان هذا دليل على مشروعية قضاء المظالم. كما وعيّن الرسول صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد الله أميراً على القضاء والمظالم، وجعل له صلاحية النظر في المظالم بالإضافة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم باشر الفصل في المظالم بنفسه، فلقد فصل بين الزبير والأنصاري في السقي بشراج الحرة أي بما رتبته الدولة

37. الماوردي، مصدر سابق، ص ص: 98 - 99
38. النبهاني، نظام الحكم، مصدر سبق ذكره، ص: 16.

من سقي الناس من المياه العامة. كما أنه رد الأعطيات التي أخذها ابن اللتبية إلى بيت المال. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عينه والياً على صدقات بني سليم وقال له: ((هلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى أتتك الهدية)). صحيح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يعين والياً على المظالم على جميع أنحاء الدولة. وإنما عين قاضياً في منطقة محددة. وكذلك الخلفاء الراشدين الأربعة لم يعيّنوا محكمة مظالم بل كانوا ينظرون في المظالم هم بأنفسهم. وكانت التقوى عندهم قوية. فبمجرد الوعظ والتذكير. أو العلم بمظلمة. كانوا يباشرون بإزالتها. وقصة عمر بن الخطاب في رفع الظلم الذي وقع على القبطي من ابن عمرو بن العاص والي مصر مشهورة. وقد أمر الخليفة الفاروق عمر القبطي أن يقتص لنفسه من ابن الوالي أمام أبيه. فالأصل في رفع الظلم هو للخليفة ولا يملك ولاية المظالم أحد سواه فيكون تعيين والي المظالم من قِبله. وعلاوة على هذا. فإن المظالم من القضاء. والقاضي إنما يعيّنه الخليفة لما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يعيّن القضاة. فتعيين والي المظالم مما يتولاه الخليفة.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية. وازدادت اعداد رعاياها. وكثر الولاة والمعاونون والموظفون. ولما ضعفت التقوى في نفوس الناس. وعمّ الجور. صار الخليفة لا يستطيع النظر في جميع المظالم. واقتضى الأمر تخصيص قضاة للمظالم. وأول من أفرد يوماً للظلامات يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر هو عبد الملك بن مروان فكان قاضيه أبو إدريس الأزدي هو الذي يباشر النظر في المظالم. وعبد الملك هو الذي ينفذ الأحكام. ثم جاء عمر بن عبد العزيز الذي رد جميع مظالم بني أمية على أهلها. وشدد عليهم حتى قيل له: "إنا نخاف عليك من ردها العواقب. فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وُقيته". وأول من جلس للمظالم من خلفاء بني العباس المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم المأمون. حتى صارت الأملاك إلى مستحقيها. وهؤلاء الخلفاء خصصوا يوماً من أيام الأسبوع للنظر في المظالم. وما سواه من الأيام يقوم الخليفة منهم بالسياسة والتدبير في أمر الرعية. وعليه. فالنظر في المظالم وتخصيص محكمة لها أمر شرعي مستنبَط من القرآن والسنّة.

ولما كان ظلم الولاة وارداً. وتعرّض الموظفين للرشوة وتحكّمهم في رقاب البشر أمرا محتملا. وما دام الفساد موجودا. والوعظ والتذكير بالآخرة لا يردع الجميع ولا يردهم الى الحق. لذلك فإن النظر الصحيح هو في لزوم فصل محكمة المظالم عن الخليفة لدرء المفاسد التي تحصل كما حصلت بالأمس[39]. والنظر في المظالم كما قال أبو يعلى الفراء: "هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة. وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[40]". فولاية المظالم تحتاج إلى سطوة الحُماة. حتى يزجر من تسول له نفسه

39. المصدر السابق نفسه .
40. ابو يعلى الفراء. الاحكام السلطانية. (بيروت: دار الكتب العلمية. 1984). ص: 73

من الولاة من ظلم الرعية، أو يرهب كل من يفكر أن يتعدى على الحقوق العامة او يستغل منصبه فيتسلط على الاموال الخاصة، ويحبذ أن يكون لمحكمة المظالم دار تتناسب مع عظمة هذا المنصب الذي يحافظ على سير العدالة والمساواة بين الرعية، ويحفظ الحقوق والاموال. ذكر الماوردي شروط الأفضلية لقاضي المظالم فقال: "ومن شروط الناظر أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع[41]". لقد احتاج المسلمون الى ردع المتغلبين والمتسلطين على الاملاك العامة والخاصة والذين لم يردعهم القضاء العادي، وكان جور الولاة والعمال وبطانة الحكام قد باتت معروفة، وظلمهم اصبح مشهورا، فكانت الحاجة الى ناظر المظالم بما يمتزج به من قوة وهيبة السلطنة[42]. وقد كثرت الروايات حول الغصوب السلطانية حيث يقوم موظفو الدولة العليا بغصب الاملاك العامة والخاصة بدون اي وجه حق، ومنها ان رجلا من اليمن جاء الى الخليفة عمر بن عبد العزيز شاكيا وباكيا لان الوليد بن عبد الملك غصبه ضيعته لاستحسانه لها وتغلبه وقهره على الرجل، فامر بردها واخرجها من الدفتر. كما ان كتب الاحكام السلطانية فيها العديد من الروايات والاثار المثبته حول عدم تنفيذ احكام القضاء لعجز القضاة عن المحكوم عليه لتعززه وقوة يده ولعلو قدره او لعظم خطره، فجاء قضاء المظالم ليحل مثل هذه القضايا.

جاءت الثورات كتعبير عن هذه الازمة. وكان سوء واقع الحكم ملموسا لا سيما لجهة ما يتصل به من فساد وظلم واستغلال المناصب العامة وشيوع الرشوة والمحسوبية ونهب المال العام والممتلكات العامة. والأمم العظيمة هي التي تنقّب عن مواطن القوة في تاريخها وتتمسك به، وتنبذ مواطن الضعف وتتحاشى الوقوع فيه. ويقيناً أن ما يحصل من خلل إنما يكون لغياب محكمة المظالم، ولعدم إدراك دورها الهام في تصحيح اعوجاج الحكام والولاة، ويكفي لفت النظر الى تسمية محكمة المظالم بدار العدل في ايام السلاطين في الشام ومصر ولاحقاً محكمة العدل العليا(القضاء الإداري) كتعبير عن اهمية هذا الجهاز في استقرار الحكم وانصاف الرعية والدفاع عن حقوقها. وتماثل اليوم دور القضاء الرقابي (مستقل وفعال).

ويمكن الاستنتاج والقول بان محكمة المظالم بما لها من هيبة السلطان والقضاء، وما لها من صلاحيات واسعة في رفع المظالم بين الرعية والدولة، وبما يتمتع قضاتها من التقوى والفقه والاجتهاد، قادرة على إزالة الفساد الناجم عن الحكام والموظفين سيما مع فصل محكمة المظالم عن الحاكم خاصة حينما يكون ينظر في قضية.

41. الماوردي، مصدر سبق ذكره، ص: 97.
42. الفراء، مصدر سابق، ص: 75.

2. قضاء الحسبة والمحتسب (الرقابة) [أجهزة الرقابة والمحاسبة الرسمية]

الحسبة جزء من النظام القضائي الاسلامي، ويعرفها ابن خلدون بانها وظيفة ومسئولية كسائر الوظائف. ومن اختصاصات المحتسب محاربة الفساد تحت مسمى امن المجتمع حيث الشرطة كلها وبكل اقسامها بمثابة المحتسب. والحسبة هي نظرية الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة: قمع الجريمة ومطاردة المجرمين حيث تقوم بدور الوقاية من الجرائم[43].

يقصد بلفظ "الحسبة" من حيث المعنى اللغوى المبكر فى اللغة العربية أشياءُ كثيرةٌ قد تبدو متباعدةٌ فى دلالاتها للوهلة الاولى لكنها في حقيقتها متقاربة. ومن معانيها "العَدُّ والإحصاء والتدبيرُ يُقال فلان حَسَنُ الحسبة إذا كان حسن التدبير[44]". ولم يكن الاحتساب، تاريخيا، معروف فى الصدر الأول للإسلام بهذا الاسم والمسمى، حتى كان عصر الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، وفيه يظهر الاحتساب ببغداد كأمر تنظيمى، وصارت لوظيفة المحتسب أهمية كبرى. وقد كان الاحتساب والحسبة آنذاك، ترادف ما نعرفه اليوم بلفظ (الرقابة، حماية المستهلك، الأيزو.. إلخ) فكان من المهام الحكومية "الحسبة على الأسواق" بمعنى مراقبة الاسواق ومكافحة الاحتكار وغش التجار، وتنظيم الاسواق، و"الحسبة على الأطباء والصيادلة" بمعنى الرقابة على الممارسات العلاجية والتأكد من صلاحية القائمين بها من الأطباء، ومراقبة ما يحتفظ به العطارون والصيادلة من المواد الدوائية. ولقرون طوال، ظل المحتسب يقوم بدور المراقب والمعاقب استناداً إلى الصلاحيات الممنوحة له من الحاكم. وظلت وظيفة المحتسب منذ الزمن العباسى وحتى العثمانى غير محددة المعالم والمهام والصلاحيات والمجالات. وكان من العلامات الفارقة في قضاء الحسبة تعيين الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب للصحابية المهاجرة الجليلة ليلى المشهورة بـ "الشفاء" قاضية على السوق.

ان اساس القضاء هو فصل الخصومات بين الناس بعدالة، وهو "فصل الخصومة بين متخاصمين والحكم بثبوت الدعوى او بعدمه". فلا قضاء الا بخصومة، ولا خصومة الا بدعوى، ولا يقضي القاضي الا في مجلس القضاء. فمدار القضاء يدور حول الخصمين والدعوى والخصومة ومجلس القضاء والبينات. وهذا بخلاف قضاء الحسبة لان المحتسب هو القاضي الذي ينظر في كافة القضايا التي هي حقوق عامة والتي لا يوجد فيها مدع ولا مجلس قضاء شرط ان لا تكون داخلة في الحدود والجنايات. ويظهر من تتبع قضاء الحسبة، بان وجود هذا الجهاز في الدولة الاسلامية يعمل على ضمانة عدم انحراف الحكم الى الشكل الجبري والبوليسي، كما يكون الهدف من الاجهزة استقرار الحكم والدفاع عن الحقوق العامة والحقوق والاموال التي يجري اغتصابها

43. الشيخ محمد سيد حاج، دور المحتسبة في حفظ المجتمعات وخطورة تركها، موقع مشكاة الاسلامية .
44. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.

من ذوي المناصب العليا العمومية. فاي تعدي على الطرق او اي تجاوز في ممارسة المهن يتم التصدي لها فورا حال العلم بها دون الحاجة الى ادعاء. فسير الامور العامة يجب ان يكون طبقا للقانون والنظام والحكم الشرعي والانظمة واللوائح المعلنة ولا يقبل بشيئ سوى ذلك. ومن الاجهزة والمؤسسات التي تعادل جهاز الحسبة هذه الايام: الرقابة العامة، ادارة الحقوق المدنية، الشرطة، البلديات، مكافحة المخدرات، وزارة الاوقاف، مؤسسات الرفق بالحيوان، ادارة شئون الموتى، مصلحة المياه والمجاري، حماية المستهلك، الشؤون الصحية[45].

ان البحث في قضاء المظالم والحسبة يظهر انه يجب ان يكون بعيدا ومستقلا عن عن اية تأثيرات قد تطرأ عليه حتى لا يقع قاضي المظالم او قاضي الحسبة تحت قبضة الخليفة والولاة او اصحاب النفوذ. وربما اعتبر ذلك شرطا لازما وضروريا حتى لا يخرج القضاء عن هدفه الاسمى وهو اقامة العدل بين الناس، وايصال الحقوق الى اصحابها، ورفع المظالم عن الناس، ووقف اية تجاوزات او مخالفات او فساد من جهاز الحكم والادارة. فلا يجوز ان يخضع القاضي لتأثير اية سلطة او اشخاص او موظفين. وكانت القاعدة الذهبية بان التدخل في شئون القضاء يفسد القضاء، ويؤدي اى الظلم، وينشر الفساد بمظاهره المختلفة من محسوبيات وواسطة ورشاوى وابتزاز.

3. مجلس الشورى أو مجلس الأمة أو مجلس الشورى والمحاسبة (مجلس تشريعي أو برلمان)

من اهم الاجهزة التي اعتنى الاسلام بشأنها لدورها الرقابي وما ينبني عليه من مساءلة ومحاسبة والتصدي لاي فساد هو مجلس الشورى او مجلس الامة. وهو مجلس يتكون من اشخاص (ذكورا واناثا) يمثلون الامة في الرأي، ليرجع اليهم حاكم الدولة الاسلامية لاستشارتهم في الامور والقضايا، كما انهم ينوبون عن الامة في محاسبة ومساءلة الحكام. اما دليل مشروعيتها فهو مأخوذ من ايات الشورى حيث يقول تعالى: ((والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)) [الشورى/38]، ويقول ايضا: ((وشاورهم في الأمر، فاذا عزمت فتوكل على الله)) [ال عمران/159]. اضافة الى فعل النبي محمد عليه السلام وما اشتهر عنه من كثرة مشاورته للناس وتخصيصه لاربعة عشر رجلا من النقباء (الممثلين) عن الانصار والمهاجرين للرجوع اليهم واستشارتهم. وهو ما سار عليه الخلفاء من بعده حيث خصص ابو بكر الصديق الخليفة الاول رجالا من المهاجرين والانصار يرجع اليهم لاخذ رأيهم اذا نزل به امر. كما ان الرأي الفقهي المعتبر والراجح هو مع جواز ان يكون في هذا المجلس اعضاء من غير المسلمين من الرعايا من اجل الشكوى من ظلم الحكام لهم او من اساءة تطبيق الاسلام عليهم او مخالفات تجري من الدولة وانظمتها بحقهم[46].

45. سفر الحوالي، نظام الحسبة في الاسلام، على موقع الشيخ سفر الحوالي على الانترنيت http://www.alhawali.com
46. عبد القديم زلوم، نظام الحكم في الاسلام، مصدر سبق الاشارة اليه، ص 214.

وعادة ما يجري التوصل الى الراي الاصوب بعد الفكر والنظر والتأمل والمعرفة. والاهم هو ان الشورى يجب ان تكون قبل الفعل وليس اثناءه او بعده[47]. وقد ادرك المسلمون بان الشورى هي حق لجميع المسلمين على الدولة والخليفة. وكان النبي محمد عليه السلام يرجع الى الناس في كل حادثة وفي كل امر مستجد. وطبقا لاهمية الامر المراد اتخاذ قرار بشأنه وخطورته فانه عليه السلام اما كان يستشير كافة اهل المدينة كما حصل يوم احد مع ان رأية كان بخلافه. واحيانا كان يستشير البدريين وهم الذين شهدوا موقعة بدر. واحيانا اخرى كان يستشير عددا اكبر وهم الذين بايعوه تحت الشجرة في الحديبية. ويمكن تلخيص صلاحية مجلس الامة هذا بامرين: حق الشورى وواجب المحاسبة والمساءلة.

اما حق الشورى فهو طلب الحاكم والخليفة الرأي الاجود والاصح والارشد في اربعة امور هي: اما بسبب اختلاف في الاراء في احدى النوازل او الوقائع او التحديات. او لطلب معرفة الحلول لمشكلة ما او الوصول الى التدبير المناسب في حادثة بعد التأمل والفكر والنظر. او مجرد ابداء الرأي مطلقا بمناسبة او غير مناسبة. وقد افتى الفقهاء بجواز ابداء الرأي مطلقا في أي امر. كما اجازوا سماعه من قبل اصحاب الامر والعمل به. وقد استند الفقهاء في ذلك االى استقراء الايات القرانية التي تناولت الشورى وطلب الراي في القران حيث ورد ذلك ستة عشر اية من القران حيث توصل الفقهاء واصحاب الاحكام السلطانية الى ان الشورى بمعنى طلب الرأي هو امر لازم ومنهج متكامل ومستمر حتى لا يميل الامر الى الظلم والتجبر في الرأي. اما المساءلة والمحاسبة فقد تم تفصيله سابقا في هذه الدراسة.

اما فيما يتصل بواجب المحاسبة والمساءلة فهي تعني وجوب قيام ممثلي الناس في مجلس الامة بسؤال الحكم عن اية سياسة او تنظيمات او ارجراءات. اضافة الى محاسبة جهازي الادارة والحكم عن اية تجاوزات او فساد او اعمال او سوء تطبيق او شكوى من الموظفين او أي ظلم للرعية. وقد افرد الفقهاء السابقون والمعاصرون الصلاحيات التفصيلية لمجلس الامة ومنها: ان رأي مجلس الامة ملزم للخليفة وينفذ رأي الاكثرية في الامور المتعلقة برعاية الشئون في السياسة الداخلية مثل توفير الخدمات اللازمة للرعية لتشعر بطمأنينة العيش من حيث شئون الحكم والصحة والاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة وامثالها. وكذلك الامر بالنسبة لمحاسبة الخليفة على جميع الاعمال التي تحصل بالفعل داخل الدولة سواء في الامور الخارجية او الداخلية ام المالية ام الجيش ام غيرها. ورأي المجلس ملزم للخليفة والحكم فيما كان رأي الاكثرية فيه ملزما وغير ملزم فيما كان رأي الاكثرية فيه غير ملزم. اضافة الى

47. عطا ابو الرشتة. اجهزة دولة الخلافة (الحكم والادارة). (بيروت: دار الامة. 2005). ص: 18

ذلك. فان وجود اكثرية المجلس في عدم الرضا عن معاوني الخليفة والولاة والعمال فان رأيهم ملزم للخليفة وعلى الخليفة عزلهم في الحال (حجب الثقة).

اما القضايا التي لا يعتبر فيها برأي الاكثرية فانها محصورة في الامور الفنية التي تحتاج الى رأي فني وخبراء في الموضوع. اضافة الى الامور التشريعية التي لا تؤخذ الا باجتهاد صحيح[48].

هذه امثلة على ثلاثة اجهزة اقامها الاسلام والتي تلعب دورا مهما في المساءلة والمحاسبة والرقابة على اداء جهازي الحكم والادارة والمناصب العامة ووسلوك الموظفين العموميين.

48. اجهزة دزلة الخلافة. مصدر سابق. ص ص: 156 - 168.

النماذج التاريخية والممارسات الحسنة: دروس وعبر

ان تحقيق العدالة، وايجاد المجتمع الخالي من الفساد والتعديات على ممتلكات الدولة والممتلكات العامة ووقف تجاوز حقوق العباد والناس، مرهون الى حد بعيد بوجود "الانموذج" وقوة "المثال" والذي يأتي كتجسيد لممارسات واعمال سليمة ونزيهة من قبل اصحاب المناصب الرسمية والعامة. فغالبا ما يحظى من يشغل المنصب العام بالقوة والهيبة الامر الذي يمكن ان يوظف اما ايجابا بالالتزام بالممارسات الحسنة والقدوة، واما توظيف المنصب العام للقيام بسلسلة من التجاوزات والافساد في الارض. ان عيون الناس تتجه تماما صوب تلكم القضايا التي يسلط فيها الضوء على الحاكم وبطانته واقربائه وموظفيه، وكيف تتعامل الدولة معهم، وما هو شأن القضاء بحقهم، وتبدأ الاشاعات بالانتشار، وتذاع الاخبار وتنقل التطورات في حملات همس بين افراد الامة، وتسود الانطباعات والتفسيرات غير المبنية على الوقائع والحقائق أحياناً. ويبدأ رأي عام بالتبلور حول وجهة الدولة والحكم والقضاء. وما لم تفصل الدولة الامور بقوة، وعلى الملأ على رؤس الاشهاد، وتوضح للناس المواقف والقضايا، فلا شك ان الانفصال بين الحكم والمواطنين يبدأ بالاتساع فاتحا الباب مشرعا لامكانية الفساد.

ومن النماذج الحية والواضحة في هذا الامر، حادثة اقدام المرأة المخزوميةعلى السرقة والتي تعتبر من اشراف القوم، فتوسط قومها لدى النبي عليه السلام لعدم تنفيذ الحد عليها، فقام النبي باتخاذ الموقف الحاسم والفاصل الذي جاء واضحا ولاجما لاية غموض او ابهام، وتمام القصة كما يرويها مسلم في صحيحه: "أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لاسامة: ((أتشفع في حد من حدود الله)). ثم قام فخطب في الناس، قال: ((يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)). ويقول النبي محمد عليه السلام: ((ان الله لا يقدس امة لا يكون فيهم من يأخذ للضعيف حقه)). ويقول ايضا: ((من حج بمال حرام فقال لبيك، نودي: لا لبيك ولا سعديك، فارجع مأزورا غير مأجور)). فالمال الحرام يحبط العمل حتى الحج . ولقد ادرك المسلمون ان الاموال العامة ملك محترم، والاخذ منها بدون الطرق الشرعية يعتبر غلولا وسحتا وتخوضا وحراما، وكل من اخذ شيئا من المال العام بغير حقه فسيأتي يحمله على عنقه مفضوحا به يوم القيامة.

ويعود فضل كبير الى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب في قوة النموذج والممارسة الحسنة. فقد ارسى قاعدة ذهبية في مكافحة خلايا الفساد ووبائه. فقد قال الامام علي بن ابي طالب مادحا سياسة الخليفة عمر في مكافحته لامراض الفساد: "عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعوا". وتشير كلمة "رتع" الى الاسلوب الذي به تتناول الماشية طعامها حيث تاكل من أي مكان ترى فيه طعاما وزادا دون أي قيد او شرط. وهذا هو عين الفساد. حيث تمتد اليد الى المال العام والخاص الموجود امامها لتنهبه وتستولي عليه دون تفكير في جواز ذلك او عدمه. وذهبت الادارة العمرية عبر التاريخ مثالا يحتذى به وهي تؤصل القيم التي تقوم عليها دولة الاسلام. والقوانين والانظمة والاجراءات التي سنها وطبقها الخليفة على نفسه اولا. وعلى اهل بيته ثانيا قبل غيرهما. وكانت النتيجة ان نعم قاطنو الدولة بالعدل والخير لدرجة تخصيص راتب شهري من بيت مال المسلمين لكل مولود جديد منذ ولادته في يومه الاول حتى يعين الوالدين على تربيته وقضاء حوائجه.

لقد ادرك الخليفة عمر بن الخطاب معادلة الفساد واطرافها. فمنذ اليوم الاول لخلافته. دعا افراد اسرته وعائلته وقال لهم: "ان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم. فاذا وقعتم وقعوا. وان هبتم هابوا. واني والله لا اوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا ضاعفت له العذاب لمكانه مني"[49]. وفي هذا التنبيه الشديد اللهجة. يقطع الخليفة عمر الطريق على أي امكانية لمحاباة او واسطة او محسوبية.

وعندما حضر عمر بن الخطاب الموت. دعا ولده عبد الله فقال: انظر كل شيء اخذته من بيت المال. أي راتبه مدة خلافته عشر سنوات وستة اشهر. انظر الى كل شيء اخذته من بيت المال فرده الى بيت المال. فاني انما اخذت ما وهب الناس لابي بكر. فان ابا بكر عندما ولي الامر مكث سنة لا ياخذ شيئا من بيت المال. فلما نفدت تجارته جمع الناس في المسجد. فقال: ايها الناس: انكم شغلتموني باموركم عن تجارتي. فاجعلوا لي رزقا من بيت مالكم. فاعطوه شاة في اليوم واربعة دراهم. ويقول عمر لابنه: فاخذت انا ما اعطى الناس ابا بكر واخشى الا اكون قد اديت اليهم من الحق ما ادى ابو بكر. ثم امر ابن الخطاب ابنه قائلا: ردوا الى بيت المال كل شيء اخذته منه. فان كان في مال آل عمر سداده والا فخذ من بني عدي ابن كعب. ثم في قروش فلان يكونوا خصومي يوم القيامة احب الي من ان يخاصمني المسلمون كافة.

وحتى يتم تركيز تلك الامثلة. فان اثار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرة وتفي بالغرض في توضيح تلك الممارسات الحسنة. لذلك. سيجري الحديث على

49. عبد الرحمن الشرقاوي. الفاروق عمر بن الخطاب (القاهرة: دار غريب للطباعة . 1978). ص 64 .

التقاط وانتقاء بعض الحوادث والحالات في حقبة الخليفة الثاني مع تصنيفها وفقا للمسميات الحديثة مع تعقيب سريع على كل موقف وحادثة لمزيد من التوضيح. وفي كل الحالات، فان ما سيتم ايراده هو مجرد امثلة.

أمثلة وآثار حول المحاسبة والمساءلة

- علم عمر بن الخطاب ان خالدا بن الوليد قد اجاز الاشعث بن قيس بعشرة الاف، فدعا البريد، وكتب معه رسالة الى ابي عبيدة يطلب منه ان يعزل خالدا ويعقله (يقيده) بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من اين جاء باجازة الاشعث: امن ماله الخاص ام من اصابة اصابها (غنائم الحرب)؟ فان زعم خالد انها من اصابة اصابها فقد اقر بخيانة، وان زعم انها من ماله فقد اسرف. ثم اكد عمر في رسالته لابي عبيدة: "واعزله على كل حال". ونفذ ابو عبيدة ما امره به خليفته عمر، وعزل خالدا عن ولاية قنسرين رغم انه افاد بان الاجازة من ماله الخاص، ولم يتم تولية خالد امرا بعد ذلك حتى توفاه الله"[50].

في هذه الحادثة ما يوضح كيفية محاسبة الحاكم لاصحاب المناصب العليا من قواد الجيش والادارة فور سماع الخبر، وحتى تكون المكاشفة والمحاسبة امام اعين الناس. فتم العزل لان عمر احس ان خالدا اوقع نفسه في شبهة عندما اعطى مبلغا كبيرا من المال لفرد من الرعية دون مبرر مقنع للعطاء، وهي شبهة كافية للمحاسبة والمساءلة عن الفساد والزبائنية والمحسوبية.

- كان عمر يعين الولاة واعوانهم، فلا يعملون عملا الا بعلم عمر وموافقته صغر هذا العمل ام كبر الا بعد استئماره والكتابة اليه، وكان يكتب للولاة في تذكيرهم بتقوى الله وحثهم على خدمة الرعية بدون حواجز، وكان يسعى جاهدا لتصحيح نياتهم وصفاء نفسياتهم، وما يخلو كتاب له من موعظة او نصيحة او تخطيط.

أمثلة وآثار على الشفافية والمساءلة والافصاح وتفسير القرارات وتبريرها

- قام عمر بعزل خالد بن الوليد قبل ذلك من قيادة الجيش، فكتب الى ولاة الامصار يقول: "اني لم اعزل خالدا عن سقطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخشيت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به، فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع. وفي هذه الحادثة وضوح تام لتفسير القرارات التي يتبعها الخليفة، فلم يكتف بالعزل ويقف عند ذلك، وهو بهذا التفسير والتوضيح لطبيعة القرار المتخذ

50. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ط2 (دار المعارف، 1975) ج 4 ص: 68

يقطع الطريق على التأويلات والتشكيكات. كما يوضح لخالد سبب العزل وانه لم يكن عن خيانة للوظيفة وللموقع الذي يشغله.

- جاءت عمر برود يمانية (اقمشة من اليمن). فوزعها على الناس بردا بردا. ثم صعد على المنبر. فقال للناس في بداية حديثه لهم: اسمعوا يرحمكم الله. فقام اليه سلمان الفارسي قائلا: والله لا نسمع. فرد عمر: ولم يا ابا عبد الله؟ فاجاب سلمان: يا عمر. تفضلت علينا بالدنيا. فرقت علينا بردا بردا. وخرجت تخطب في حلة منها؟ في اشارة الى ان عمر اخذ اكثر من برد واحد ليصنع ثوبا. فقال عمر: اين عبد الله بن عمر (ابنه). فقال: هئنذا يا امير المؤمنين. فقال عمر مخاطبا ابنه: لمن احد هذين البردين اللذين علي؟ قال ابنه: لي. فقال عمر لسلمان: عجلت يا ابا عبد الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت ثوب عبد الله. قال سلمان: اما الان فقل نسمع ونطيع.

ويتبين من هذا الشاهد التاريخي المشهور امور تتعلق بالمحاسبة وبما يطلق عليه هذه الايام الشفافية والافصاح. حيث حاسب سلمان الفارسي الخليفة امير المؤمنين عمر لظنه ان هناك فسادا ما يحصل. وطالب بالتفسير والافصاح. كما ان الخليفة عمر قام باعطاء تفصيل وتقرير واضح عن الحالة التي يحاسب عليها. ورغم ان سلمان تعجل بالاتهام طالبا التوضيح والمعلومات والتبريرات. فان عمر امير المؤمنين بالمقابل لم يزد على التوضيح والافصاح في القضية شيئا. ولم يعاقب الرجل على تعجله ولم يطالبه بالاعتذار. وفيها تحقيق لمقولة عمر نفسه: "احب الناس الي من رفع الي عيوبي".

- وفي موقف مختلف. حول قرارات القيادة وطريقة اتخاذها. ووجود معايير واضحة في السياسات والاجراءات. دعا عمر وندب الناس الى جهاد الفرس. فتردد الناس في تلبية النداء. فلما كرر النداء وطلب النفير. كان اول من استجاب من المسلمين ابو عبيد بن مسعود. فلما اكتمل الجيش. قال احدهم لعمر: "امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين او الانصار". فرد عليه رافضا رأيه قائلا: "لا والله لا افعل. انما رفعكم الله بسرعتكم الى العدو. فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء فاولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع واجاب النداء. والله لا اؤمر عليهم الا اولهم انتدابا". فامر عليهم عبيد بن مسعود لسبقه في اجابة النداء. يتضح من هذه الرواية بان الفاروق اعتمد معيارا مناسبا لاختيار القائد خلاف معياره في تقسيم الاعطيات طبقا للموقف ومتغيراته.

ويظهر من هذا الامتثال والالتزام بالقواعد والانظمة والاجراءات مدى محافظة الدولة والادارة على اموال الرعية وضمان عدم نهبها وتضييعها واستخدامها في مصالح

الامة وقضاء حوائجها وتقديم الخدمات لها وجعل بيت المال (خزينة الدولة) عامرة ووفيرة بالاموال لقضاء الحوائج وتدبير الامور وتصريفها. ولقد ابتلي كثير من انماط الحكم والادارة قديما وحديثا بالفساد الاداري الذي اضاع الاموال وهدرها نتيجة عدم الامتثال هذا. ولو تم توفيرها لحلت مشاكل كثيرة. ولما تفاقمت الظروف الى درجة الثورة. فكما قال ابو ذر: "عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج شاهرا سيفه".

أمثلة وآثار على الإفصاح والقدوة الحسنة

- افصح عمر بن الخطاب عن اجراءاته في النظام المتبع لاعطياته ورزقه من بيت المال للرعية في خطبة مشهورة حيث قال: "إني أنزلت نفسي من مال الله منزلتها من مال اليتيم. إن استغنيت استعففت. وإن افتقرت أكلت بالمعروف". وقد التزم هذه القواعد بدقة متناهية. فلم يكن ينال من بيت مال المسلمين زيادة عن راتبه إلا إقراضا. وقد ساعده ذلك على إلزام ولاته بهذا المنهج القويم. كما ساعد الرعية على محاسبته على النظام التذي اختطه لنفسه واعلنه على الملأ.

أمثلة وآثار على سيادة القانون وعدم التحصين من المحاسبة

- ارتقى ابن الخطاب في مناوأة الفساد درجات في العلا. واحاط نفسه بسياج الافصاح عن الوقائع والشفافية المطلقة. وجعل الحاكم تحت رقابة المحكوم ومساءلته ومحاسبته. فدعى الخليفة عمر الناس الى المسجد في اجتماع طارئ غير عادي. ولما اجتمعوا وتكتلوا. صعد المنبر فقال: "يا معشر المسلمين. ماذا تقولون لو ملت برأسي الى الدنيا. فاني اخاف ان اخطئ فلا يردني احد منكم تعظيما لي. ان احسنت فاعينوني. وان اسأت فقوموني". فقال رجل: "والله يا امير المؤمنين لو رأيناك معوجا لقومناك بحد سيوفنا". عندها اجاب الخليفة الزاهد والفرحة تغمر قلبه قائلا: "رحمكم الله. الحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عمر بسيفه". ويرى المدققون بان الخليفة اراد ان يبرهن للرعية. وبشكل قاطع. انه لا حصانة لاحد امام القانون. وامام احكام الله. ملزمة حتى لامير المؤمنين نفسه. فليس له أي امتياز او تفضيلات لانه خادم القوم. حتى قيل بان عمر اتعب كل من سيأتي بعده وجعل مسئولياتهم فادحة وكبيرة[51].
- ومن التقيد بالنظام المالي المكتوب والذي اقتضى القيام بعملية احصاء للنفوس حتى توزع الاعطيات على الجميع. ومن العدالة التي لا يقل نظيرها

51. مهيوب محمود . الفاروق والفساد الاداري . على شبكة صيد الفوائد .

في عالم اليوم. فقد كان النظام المالي المتبع والمكتوب من الدقة بحيث يحصل صاحب الحق على حقه دون زيادة ولا نقصان وبما يلائم كافة الظروف. فحصل ان توفي رجل بعد ثمانية اشهر من السنة. فاعطاه عمر رضي الله عنه ثلثي عطاء الرجل المتوفى الى ورثته[52].

- ومن اروع الشواهد على نزاهة الفاروق عمر والتقيد بالاجراءات والانظمة المعمول بها في الدولة والالتزام بها مقدما انموذجا رائعا ودرسا للامة كلها انه كلما احتاج عمر الى المال اتى خازن بيت المال فاستقرضه فيقرضه. فاذا حل موعد سداد الدين زالقرض اتاه صاحب بيت المال يطالبه بسداد الدين. فان كان ميسورا قضى دينه وان كان معسرا طلب مهلة اضافية بانتظار عطاءه من بيت المال مع بقية المسلمين. فيقضي دينه اولا. كما انه اشتكى من وجع. فوصف له العسل علاجا ولم يكن لديه منه شيء وفي بيت المال الكثير منه. فخطب في الرعية مستأذنا في اخذ ما يكفيه بعد ان بين حاجته لها ثم قال: "والله لان اذنتم لي فيها اخذتا. والا فهي علي حرام"[53].

- قام ابو موسى الاشعري الاشعري باعطاء رجل بعض سهمه (حصته) نظرا لانه ابلى في الجهاد بلاء حسنا لصوته الجهوري ودوره في اخافة العدو. ولما رفض الرجل اخذ المال. هدده ابو موسى. فلم يقبل الرجل. فقام ابو موسى بجلده عشرين سوطا. فهرع الرجل الى عمر شاكيا طالبا حقه من اميره. فكتب عمر الى ابي موسى بان يمكن الرجل منه ليقتص منه امام الجند. وهذا ما حصل. بيد ان الرجل سامح ابا موسى في اخر لحظة[54].

- تذكر الكتب ان عمر بن الخطاب كان شديد المراقبة والمحاسبة لولاته. فكان لا يتردد لحظة واحدة في التحقيق مع ولاته وعماله. واستدعاؤهم الى المدينة للتحقيق معهم. ومعاقبة من ادين منهم. فقد استدعى وحقق مع سعد بن ابي وقاص. وابي موسى الاشعري. وعمرو بن العاص. وعياض بن غنم. وعبد الله بن قرط. وخالد بن الوليد. وقدامة بن مظعون. وسعيد بن عامر الجمحي. وعمير بن سعد. وغيرهم. وتفاصيل التحقيق معهم مبسوطة في كتب الحديث والاثار. علما ان جميعهم من صلب العرب. وبعضهم من ابرز الفرسان الذين كان لهم شأن في اعزاز الدين.
- اوقف الخليفة عمر بن الخطاب ابو هريرة والي البحرين آنذاك. وحاسبه على الثروة التي جمعها. وقال له: من اين اتيت بها؟ وبعد ان لم يقتنع بجوابه اصدر

52. علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي. اخبار عمر واخبار عبد الله بن عمر. ط. 3 (بيروت: دار الفكر. 1392 ه). ص: 106
53. الطبري. مصدر سابق. ج 4. ص: 208.
54. المصدر السابق نفسه. ص: 154

امرا فصادر نصفها وحوله الى بيت بيت مال المسلمين، وابقى له النصف الثاني.

أمثلة وآثار على عدم المحاباة

- ان حادثة عمر مع القبطي مشهورة واشهر من ان تعرف وتفاصيلها: "عن أنس بن مالك قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال: عذت بمعاذ، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربنى بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويَقْدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصرى؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الاثمين، وفي رواية "اضرب ابن الأكرمين"، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصرى: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني".

- عندما قام عمر بترتيب وكتابة اسماء المسلمين في المدينة ليقدم لهم الاعطيات، قام بترتيب اسماء القبائل وفقا لتقدمهم في العقيدة ومبتدئا بال بيت النبي عليهم السلام، بيد ان قبيلته، بنو عدي، احتجت على هذا الاجراء والنظام، وقدمت للخليفة عمر لتقترح عليه اعادة الترتيب فيكونون بعد ابي بكر بحجة توالي الخليفة على الحكم، فقال لهم: "بخ بخ بني عدي، اردتم الاكل على ظهري، وان اذهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتيكم الدعوة وان اطبق عليكم الدفتر ولو ان تكتبوا في اخر الناس، والله لو جاء الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة، فلا ينظر رجل الى قرابة، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه"[55] ومن الواضح ان عمر في هذه الواقعة يرفض اي نوع من المحاباة والواسطة حتى بوجهها المتأول، كما ان اجراءاته المكتوبة، وسياسته الواضحة والمعروفة والمنشورة للجميع، امر لا رجعة عنه والالتزام به.

- قرار القاعدة الذهبية في التوظيف في جهاز الدولة على الملأ، فكشف عن الاجراء المتبع حيث قال: "من استعمل (وظف) رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين". وفيه تأكيد واضح على مناهضة اشكال الفساد من المحاباة والواسطة.

55. الطبري، مصدر سابق، ص: 210

أمثلة وآثار على تجنب تضارب المصالح

- وفي حادثة ذات دلالات عميقة، وبينما كان الخليفة عمر في جولة تفقدية في السوق، فاذا به يشاهد ابلا سمانا، تمتاز عن بقية الابل بنموها وامتلائها، فيسأل: ابل من هذه؟ فقالوا له: ابل عبد الله بن عمر، ابنك، فانتفض عمر وكأن القيامة قامت، فيقول "هي ابل عبد الله بن عمر اذن ... بخ بخ يا ابن امير المؤمنين". فارسل في طلب ابنه من فوره، فاقبل ابنه عبد الله يسعى حتى وقف بين يدي والده وخليفته الذي سأله: "ماهذه الابل يا عبد الله؟ فاجابه: انها ابل انضاء (أي هزيلة) اشتريتها بمالي، وبعثت بها الى الحمى (المرعى) اتاجر فيها، وابتغي ما يبتغي المسلمون، فعقب عمر الخليفة، والده، بكلام لاذع وتهكم كبير: "ويقول الناس حين يرونها، ارعوا ابل ابن امير المؤمنين، اسقوا ابل ابن امير المؤمنين، وهكذا تسمن ابلك، ويربو ربحك يا ابن امير المؤمنين"، ثم وصاح بابنه: "يا عبد الله، خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الابل، واجعل الربح في بيت مال المسلمين"[56]. وفي هذه الرواية دلالة عظيمة عن نوع من الفساد (تضارب المصالح) المستتر الذي لا يراه الا نقي بنقاء الفاروق عمر.

أمثلة وآثار على رفض الهدايا

- اهدى ابو موسة الاشعري اهل بيت عمر قطعة قماش، فلما راها عمر غضب، ورد الهدية الى صاحبها بعد ان ضرب بها رأس ابو موسى قائلا له: لا حاجة لنا في هديتك"[57]. وفي هذه الحادثة تظهر نزاهة الفاروق حيث يرفض أي هدية من من مرؤوس لرئيس مهما كان احتمال حسن النية واردا، وهو امر يمكن ان يفسد الادارة ويفتح الباب للفساد حتى لو كانت على شكل هدية بسيطة غير ذات قيمة عالية، فالتغاضي عن قبول هدية بسيطة ربما يفتح المجال لقبول هدية اكبر، فجاء علاج عمر سريعا وحاسما ما حصن جهاز الدولة والادارة.

أمثلة وآثار على الخدمات للرعية بدون تمييز

- هناك رواية مشهورة أن الفاروق عمر يقول فيها: "لو عثرت بغلة في العراق لخشيت ان يسألني الله عنها لم لم تسو لها الطريق يا عمر"، وقد وردت هذا الرواية بجملة من الطرق واختلاف في الالفاظ ولكن معناها واحد. فالاصل في صاحب المسئولية العامة هو السهر على رعيته وتقديم الخدمات لهم بمساواة ودون تفرقة بين غني وفقير، او مسلم او غير مسلم، او ذكر او انثى أو قريب أو بعيد.

56. خالد محمد خالد، خلفاء الرسول (القاهرة: دار العام للملايين)، ص: 199.
57. محمد عبد اللطيف، عمر بن الخطاب والعادلة الانسانية (القاهرة، مطابع دار الشعب، ب.ت)، ص: 67.

- هناك ايضا رواية تعددت صور ثبوتها حول المرأة التي اوقدت النار وحولها صبيانها يتضاغون من الجوع، حيث تذكر الروايات انها كانت تضع حجارة في القدر او ما تسكت به الصبية حتى يناموا، فلما وصلها عمر مع معاونه وسألها عن حالها والقدر والصبية، وبعد ان اجابت علقت بقولها: "الله بيننا وبين عمر، يتولى امرنا ويغفل عنا"، فذهب عمر مسرعا الى بيت المال من فوره، وحمل الطعام على ظهره، وعاد الى حيث المرأة، واوقد لها القدر حتى تخلل الدخان لحيته، واطعم الصبية، ولم يغادر حتى ضحكوا بعد ان شبعوا وناموا حتى قالت المرأة: "انت اولى بهذا الامر من امير المؤمنين عمر"[58]. ومن الواضح ان المسئولية العامة، وتوفير الخدمات للامة ولكافة ابنائها من مسئولية الحاكم وجهاز حكمه.

أمثلة وآثار على الشفافية وايصال المعلومات للجميع ورفع وعي الناس

- حدد امير المؤمنين عمر بن الخطاب أهداف إدارته لعموم الناس، فقال في أول خطبة له: "ولكم عليَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم عليَّ ألا أجتبي شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم، ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم؛ فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم". فيقرر الفاروق اهداف ادارته بانها عدم إرهاق كاهل الأمة ماليا، وحسن تصريف الأموال، والعمل على تحسين مستوى المعيشة، وحماية الدولة من الاعتداء الخارجي، وتحقيق الاطمئنان النفسي، والرعاية الاجتماعية.

ويمكن ان يدهش المحلل والدارس لهذه الحوادث من القدرة في تحقيق التوعية لدى الامة بالاجراءات والسياسات واخذ موافقتهم عليها رغم محدودية وسائل الاعلام المتاحة حينها. لقد كانت وسائل توعية الجمهور ونشر الاجراءات والسياسات والقوانين والانظمة واطلاع الناس عليها والنقاش فيها وشرحها للناس محدودة ولا تتجاوز الخطب في المسجد، وفي الامكنة العامة في المناسبات العامة مثل الحج، او استقبال او توديع جيش، اضافة الى الكتب التي كان يرسلها الى عماله وولاته وامرائه في الامصار فتصل بمضامينها ونصوصها احيانا كثيرة للناس كافة.

58. لتفاصيل الحادثة انظر مثلا: الطبري، ج 4 ص ص: 205 – 206.

آثار أخرى متفرقة (نماذج مختارة وأمثلة)

1. **افصاح حول إجراءات إدارية:** حين تولى عثمان بن عفان الخلافة، دعا اهل بدر في المسجد ليشاورهم، فقال: انتم الملأ من المسلمين، وامر هذه الأمة اليكم، واني قد وليت هذا الامر، وانا غني من الاغنياء لا احتاج الى شيء من بيت المال، فخذوه فاصرفوه في مصارفه، فلدي من المال ما يكفيني، فلم يأخذ أي اعطية من بيت المال حتى لقي الله، علما انه بقي في منصبه 11 سنة واشهرا .

2. **منع الرشوة بأشكالها:** روى عن عمر بن عبد العزيز انه اشتهى يوما التفاح، فلم يجد ما يشترى به من ماله، وبينما هو سائر مع بعض اصحابه اهديت اليه اطباق من التفاح، فتناول واحدة فشمها ثم رده الى مهديه، فقيل له في ذلك فقال: لا حاجة لي فيه .فقيل له: ان رسول الله كان يقبل الهدية، وابو بكر وعمر، فقال: انها لاولئك هدية وهي للعمال رشوة.

3. **منع تضارب المصالح:** سعى عمر بن عبد العزيز لتحقيق السلامة من الفساد الإداري بالحرص على سبل الوقاية منه وسد منافذه خصوصا الخيانة، والكذب والرشوة، والهدايا للمسؤولين والأمراء، والإسراف، وممارسة الولاة والأمراء للتجارة، واحتجاب الولاة والأمراء عن الناس، والظلم للناس والجور عليهم فعمل على زيادة أرزاق العمال ووسع عليهم في العطاء رغم تقتيره على نفسه وأهله، وأراد بذلك أن يغنيهم عن الخيانة. كما ونهاهم عن الإسراف والتبذير بعد ان كان أول إجراء له بعد توليه الخلافة هو انصرافه عن مظاهر الأبهة، واتخذ اجراءات وانظمة وتدابير تقطع دابر الإسراف في اجهزة الدولة،وكان من اهم ما قام به هو منع الولاة والعمال وموظفي الدولة من ممارسة التجارة، فقال في كتاب له إلى عماله: "نرى أن لا يتجر إمام، ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويعيب أمورا فيها، وإن حرص أن لا يفعل". وفي هذا يؤكد ابن خلدون في مقدمته الشهيرة بان تجارة السلطان "مقترة بالرعايا معسرة للجباية".

4. **المحاسبة والمساءلة:** بعد ان تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، قام بمحاسبة كافة العاملين في جهاز الحكم والادارة السابقين عن الفترة السابقة قبل ان يصبح هو خليفة

واتخذ غير ذلك من الإجراءات التي سبق بها الكثير من النظريات الإدارية الحديثة.

مكافحة الفساد في العهدين القديم والجديد

اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل "سيدنا يعقوب عليه السلام" الذين أرسل اليهم الله تعالى موسى عليه السلام مؤيدا بالتوراة، ليكون لهم نبيا. واليهودية ديانة اختلف في أصلها، فقد تكون التسمية نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، ثم تم تعميمها على الشعب على سبيل التغليب. واليهود ينقسمون إلى فرق هي: الفريسيون وهم يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر، والصدقيون الذين ينكرون التلمود والملائكة والمسيح المنتظر، والمتعصبون ويتصفون بالعدوانية، والكتبة أو النساخ وقد عرفوا الشريعة من خلال عملهم في الكتابة وقد أثروا على حساب مدارسهم ومريديهم، والقراءون وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود، والسامريون وهم طائفة من المتهودين من غير بني إسرائيل. اما ابرز كتبهم فهي العهد القديم الذي ينطوي على شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، وينقسم إلى التوراة وأسفار الأنبياء بنوعيها، وهناك التلمود وهو روايات شفوية جمعت في كتاب اسمه "المشنا" أي الشريعة المكررة، وقد شرحت "المشنا" في كتاب اسمه "جمارا". واليهود من حيث الأصل كتابيون موحدون، غير أنهم اتجهوا إلى التعدد والتجسيم والنفعية، فكثر أنبياؤهم، وقد عبدوا العجل وقدسوا الأفعى. وقد تأكد أن التوراة ألفت في عصور مختلفة وبأقلام مختلفة، ورصد الدارسون فيها وجود اختلاف مع الانجيل.

ويشير العهد القديم (التوراة) إلى أحد أكبر نقاط الضعف في الحياة الإنسانية، سواء من الناحية الشخصية أو الاجتماعية أو الحكومية، ألا وهو الفساد، إذ يظهر الفساد بأشكال وأنواع عديدة. وتعدّ رشوة موظفي القطاع العامّ والقضاة من أكثر أشكال الفساد كُرهًا؛ لأنها تضعف الأساس القانوني للمجتمع. وتحذر التوراة من الفساد الحكومي والقضائي، لأنها يمكن أن تفسد الرؤيا حتى لأكثر الناس تديُّنًا وصلاحًا. فحسب رأي التوراة، الفساد لا يأتي على شكل الرشوة المالية فقط، بل هناك نوع خفي من الفساد وهو الفساد الناتج من المصلحة الذاتية، هذا النوع من الفساد يؤدي إلى ضيق التفكير، ويؤدي إلى دمار المجتمع على المدى الطويل. والفساد حسب المفهوم الديني اليهودي يتضمن العنصرية، والتعصب، وعدم مراعاة مشاعر الآخرين، و التطرف لآراء معينة. "ويل للأمة الخاطئة ، الشعب المثقل بالإثم ، ذرية مرتكبي الشرّ، أبناء الفساد") سفر أشعياء، الأنبياء1: 4 -Par shas shoftim,)

العهد الجديد ومكافحة الفساد

اتخذ الدين والمناصب ورقة ووسيلة للتكسب والغنى على حساب الناس.

جاء في إنجيل متى الإصحاح 20: "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ... بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء". كما اعتبر المال احد ثلاثة انواع من الشر يجب الهروب منها. محبة المال والرغبة في الغنى تغرّق الناس في العطب والهلاك. وأنه بسببها كثيرون طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.[62]

وفي الوصايا العشر حسب الدين المسيحي، كما في كتُب العهد الجديد، نجد ان موضوع الفساد حاضراً. فيوحنا المعمدان الذي كان يعلن، بحسب نبوءة أشعيا، اقتراب ملكوت السماوات وقدوم المسيح، كان يعظ بالتوبة كل من يأتي إليه لينال المعمودية. وقد اجاب جباة الضرائب الذين سألوه: "يا معلِّم، ماذا نعمل؟ فقال لهم: لا تجمعوا من الضرائب أكثر ممَّا فرض لكم» (لو 3/13). وفي الاتجاه نفسه قال للجنود: "لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد، واقنعوا بأجوركم» (لو 3/14). وفي الحالتين يمكن إجمال تعليم يوحنا لهؤلاء الموظفين بأن يتجنبوا الفساد وأن يبقوا في حدود ما تتطلبه منهم واجبات وظائفهم، الواجب كل الواجب ولا شيء أكثر من الواجب. وتوبتهم بهذا المعنى تصير قائمة في تحقيق الأمانة لواجباتهم. كذلك تشهد رواية "سمعان الساحر" الذي حاول أن يعرض مالاً على الرسولين بطرس ويوحنا لكي يحظى بموهبة استدعاء الروح القدس بوضع الأيدي (رسل 24-8/8)، على النموذج الأول لإحدى أكثر ممارسات الفساد التي ستعاني منها الكنيسة عبر العصور (السيمونيَّة)، والتي لم تفتأ تهدِّد نقاوة حياة الجماعة المسيحيَّة ومصداقيَّة شهادتها للإنجيل. هنا أيضاً يُعلن بطرس بعنف بارز حكماً قاطعاً يتجاوز القاعدة الأخلاقيَّة، لأنَّ الأمر يمسُّ قيمة المواهب الإلهية ذاتها: «إلى جهنَّم أنتَ ومالك، لأنَّك ظننتَ أنَّك بالمال تحصل على هبة الله"[61].

كان يهوذا الإسخريوطي من تلاميذ المسيح عليه السلام، ورأى معجزاته وسمع مواعظه، بيد انه كان محبا للمال، ولم يحاول يهوذا أن يتغلّب على محبة المال حتى أنه باع سيده بثلاثين قطعة من الفضة، فماذا كان مصيره؟ "مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ" (متى 5:27). "وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ، فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا" (أعمال 18:1). فمحبة المال تغرق الناس في العطب والهلاك ودون ان يتم الانتفاع بالمال الذي يتحصل عليه. فالمال هو اصل كل الشرور كما يرد في العهدين القديم والجديد[63].
ومن اهم الروايات التي يتم تداولها في المواعظ وحتى في المساجد قصة الرغيف الثالث، وهي قصة معبرة عن الزهد في الدنيا وعدم الالتفات للمال، وهي درس بليغ

وجهه المسيح لحواريه، وهي قصة فيها عبرة وعظة، خاصة ان احد ابطالها هو احد بني اسرائيل الامر الذي يكشف عن التركيبة النفسية لليهود، وتفاصيلها:

خرج المسيح ومعه رجل من بني إسرائيل في بعض رحلاته فأصابهما الجوع، وقد انتهيا إلى قرية فقال المسيح لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية، وأعطاه ما يشتري به، فذهب الرجل، وقام المسيح يصلي لله، فجاء الرجل بثلاث أرغفة، فقعد ينتظر انصراف المسيح من الصلاة، ولكن المسيح عليه السلام كان يطيل الصلاة، فأكل الرجل رغيفا، وكان المسيح قد أعطاه ثمن ثلاثة أرغفة، فلما انصرف من صلاته، لم يجد إلا رغيفين، فقال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كان معي إلا رغيفين، فاكلاهما ثم مضيا حتى أتيا على ظباء ترعى، فدعا المسيح واحدا منها فجاءه، فذكاه (ذبحه) وأكلا، – وهذه من معجزات المسيح – فقال المسيح للرجل: بالذي أراك هذه الآية، من أكل الرغيف الثالث؟ فقال ما كانا إلا اثنين، فلم تنفع معه المعجزة للاقرار باكله الرغيف، ثم مضيا حتى جاءا قرية، فدعا المسيح ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لبنة اي حجر، فنطق الحجر مجيباً على المسيح، وهي معجزة ثانية، فسألها المسيح، فأخبرته بكل ما أراد معرفته، وصاحبه يتعجب مما رأى، فقال له المسيح: بحق من أراك هذه الآية، من صاحب الرغيف الثالث؟ فرد الرجل: ما كانا إلا اثنين، فمضيا حتى انتهيا إلى نهر عجاج، فأخذ المسيح بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر، فقال الرجل سبحان الله! مدركا عظم المعجزة، فقال المسيح: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل ما كانا إلا اثنين، فمضيا حتى اتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلاث لبنات عظام – ثلاث أحجار – وقيل ثلاثة أكوام من الرمل، فقال لها المسيح كوني ذهباً بإذن الله، فتحولت الثلاثة أكوام إلى ذهب، فلما رآها الرجل قال هذا ذهب؟ فقال المسيح: نعم، واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث، فقال المسيح: هي لك كلها، ثم فارقه المسيح، وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه، فقال اثنان منهما للثالث: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام، فانطلق، فلما غاب قال أحدهما للآخر: إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا، فقال الآخر نعم، وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه اخفى لصاحبيه السوء، وقال أجعل لهما في الطعام سما فاذا اكلاه ماتا وآخذ المال لنفسي، فوضع السم في الطعام، وجاء فقاما اليه فقتلاه، وأكلا الطعام فماتا، فمر بهم المسيح عليه السلام، فوجد الأربعة نفر قتلى حول الذهب، فقال لحواريه، هكذا الدنيا تفعل باهلها.

ان العبرة والعظة من القصة واضحة، فالنفس البشرية تميل الى الطمع وهي مجبولة على حب المال، وهذا الضعف البشري اساس البلايا، ولو قيض للانسان ان يكون له جبل من ذهب لتمنى ان يكون له جبلان ولن يملأ فاه الا التراب.

61. حنا عيسى، المنظور الديني ودوره في مكافحة الفساد، رام الله، 6/11/2012 .
62. اميل شكر الله، مقالة في 9/1/2012
63. المرجع السابق نفسه.

توصيات واستنتاجات

انطلاقا من الدور المركزي للدين، وبالاخص للدين الاسلامي، في المجتمع الفلسطيني وهو المتجذر في اوصال المجتمع، والذي يشكل جزءا مهما من شخصية وهوية الفلسطينيين، كان لا بد من ايراد جملة من الاليات والوسائل لرفعها الى "المؤسسة الدينية" حتى تلعب دورا اكبر في القيام بواجبها ودورها في مكافحة الفساد. ويمكن تبنيد المقترحات والاليات التالية حتى يمكن معها فتح النقاش فيها بهدف تطويرها. والتوصيات الموجهة الى الجهات الاسلامية هي:

1. توجد حاجة ماسة لتوعية وتثقيف الائمة وخطباء المساجد والدعاة ورجال ونساء الوعظ والارشاد بموضوع مكافحة الاسلام للفساد، ودور الاسلام في بناء الشخصية الاسلامية المحصنة من الفساد، وايجاد المجتمع النظيف الخالي من الفساد، حيث يتم لفت نظر الائمة والخطباء والوعظ والارشاد الى جملة مفاهيم الاسلام حول مكافحته للفساد، واشكال الفساد المختلفة، وتغيير المنكرات، وعدم السكوت عن اضاعة وهدر المال العام، والتبليغ عن المفسدين، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو امر يحتاج الى خطة مدروسة من جهة، وارادة سياسية وقرار بتبني هذه الامور والعناية بها ضمن مراجعة شاملة لاوضاع الخطباء والداعة والوعظ والارشاد من جهة اخرى. فمع ان الكثير من النصوص الشرعية من ايات القران الكريم والاحاديث النبوية والاثار والوقائع والحوادث محفوظة تماما وعن ظهر قلب لدى الخطباء والوعاظ، فانه لا يتم ربطها باحكام بموضوع الفساد ابدا والوقائع الجارية. فالحاجة هي الى ان يلمس الخطباء والوعاظ مناط الاحكام، وتنزيلها على الوقائع الجديدة، وربطها بالفساد، وهو ما يحتاج الى تدريب ودورات توعية مكثفة ومستمرة، لبيان جملة تلك الاحكام والنصوص، ووضع الاصبع على علاقتها بالفساد، من قبل اولئك الخطباء ورجالات الوعظ والارشاد.
2. قيام وزارة الاوقاف باعداد كتيبات تعريفية بمكافحة الاسلام للفساد، وشرح مختلف اشكال الفساد التي تصدى لها الاسلام، كلها،

3. حتى يكون لاي جهة تعمل في مجال مكافحة الفساد الاثر المرجو والمطلوب، فانه ينبغي اولا ان تهتم تلك الجهة وان تتحلى وتلتزم بالنزاهة والشفافية والقابلية للمساءلة والمحاسبة في كافة سياساتها واجراءاتها وانظمتها الداخلية، وفي علاقتها مع الجمهور. فلا بد لها ان تنظر في كافة ما يتطلبه دليل مكافحة الفساد، وتقوم بتطبيقه وتبنيه حتى تكون انموذجا ومثالا حيا يحتذى به، والا فان الاثر المرجو لا يكون قابلا للتحقيق لغياب القدوة فيمن يفترض ان يكون كذلك.

الخاتمة

وباعتبار ان الفساد يعتبر من اقوى المؤسسات طبقا للخبراء في هذا الموضوع، وهو فوق ذلك، مؤسسة ذكية وقوية، ذات نفوذ وخبرة، فان ظاهرة الفساد، باشكالها المختلفة، لا تكافح فقط من خلال مؤسسات رادعة رقابية، ولا تكفي التشريعات والقوانين مهما كانت قوية، ولا ينفع وجود هيئات او لجان خبراء مهما كانت محترمة، اذ الاصل في مكافحة الفساد وجود المسئولية الجماعية المسنودة بالارادة الواعية والكاملة والفاعلة نتيجة بواعث ودوافع داخلية ونفسية بما يساهم في وجود البيئة المؤهلة لمكافحة الفساد مع معاقبة الفاسدين. وقد اكدت الدراسة على ان الاسلام، بحق، قد ارسى دعائم بلورة ايجاد المسؤولية الجماعية.

أهم المراجع

- ائتلاف امان. الدليل الاشادي لمصطلحات ومفاهيم الحكم الصالح . (فلسطين: ائتلاف امان، 2010).
- ابو دياك، علي، وناصر الريس. السياسات والتشريعات في مكافحة الفساد. (فلسطين رام الله: ائتلاف امان، 2008).
- الاصفهاني، الراغب. مفردات الفاظ القران الكريم، من موقع ام الكتاب والدرر السنية على الانترنيت info@omelketab.net
- ابو الرشتة، عطا. اجهزة دولة الخلافة (الحكم والادارة) . (بيروت: دار الامة، 2005).
- ابو عرفة، عبد الرحمن. الفساد في المجتمع الفلسطيني – قراءة اولية، مقالة منشورة في عدة مواقع.
- ابن قدامة المقدسي. المغني . على شبكة مشكاة الاسلامية.
- البستاني، بطرس. محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية، (لبنان: مكتبة لبنان، طبعة 1983.
- الحوالي، سفر. نظام الحسبة في الاسلام: على موقع الشيخ سفر الحوالي على الانترنيت http://www.alhawali.com
- حزب التحرير. مقدمة الدستور او الاسباب الموجبة له . القسم الثاني. ط 2 . (بيروت: دار الامة، 2010).
- خالد، محمد خالد. خلفاء الرسول (القاهرة: دار العام للملايين).
- الزحيلي، وهبة. الفقه على المذاهب الاربعة: على موقع: صيد الفوائد .www saaied.net
- زلوم، عبد القديم. الاموال في دولة الخلافة . ط3. (بيروت: دار الامة، 2004).
- الشعيبي، عزمي (اشراف وتحرير). تقييم الالتزام بالتدابير الوقائية في اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد . (رام الله، ائتلاف امان، 2010).
- الشرقاوي،عبد الرحمن. الفاروق عمر بن الخطاب (القاهرة: دارغريب للطباعة، 1978).
- شلتوت، محمود (امام الازهر الاكبر). دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية. ط 18. (القاهرة: دار الشروق، 2004).
- شيت خطاب، محمد. الفاروق القائد . ط.4 (بيروت: دار الفكر، 1391).
- الشهري، ماجد. احكام جريمة الكسب غير المشروع: دراسة مقارنة (الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود، 1425).
- الشيخ محمد سيد حاج، دور الحسبة في حفظ المجتمعات وخطورة تركها: موقع مشكاة الاسلامية.

- الطبري، ابن جرير. تاريخ الطبري، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ط2 (دار المعارف، 1975).
- الطنطاوي، علي وناجي. اخبار عمر واخبار عبد الله بن عمر. ط 3 (بيروت: دار الفكر، 1392هـ).
- عبد اللطيف، محمد. عمر بن الخطاب والمعادلة الانسانية (القاهرة، مطابع دار الشعب، ب.ت).
- عبد الله، محمد حسين. دراسات في الفكر الاسلامي . (الاردن، ب.ن.، 1990).
- علم الدين، مصطفى. المجتمع الاسلامي في مرحلة التكوين . (بيروت: دار النهضة العربية، 1992).
- العيسوي، عبد الرحمن العيسوي. "دور الوعي الاسلامي في مكافحة الفساد". مجلة الوعي الاسلامي الصادرة عن وزارة الاوقاف الكويتية. (العدد 552 ، يوليو 2011).
- عيسى، حنا. المنظور الديني ودوره في مكافحة الفساد، رام الله، 6/11/2012 .
- الفراء، ابو يعلى. الاحكام السلطانية . (بيروت: دار الكتب العلمية، 1984).
- القرطبي، الجامع لاحكام القران، في :شبكة مشكاة الاسلامية: www. almeshkat.net/
- الماوردي، ابو الحسن. الاحكام السلطانية والولايات الدينية. (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.س).
- محمود ، مهيوب. الفاروق والفساد الاداري: على شبكة صيد الفوائد.
- مسودة الشرف للجمعيات الخيرية والمنظمات الأهلية الفلسطينية، حزيران 2006: المسودة الأولى.
- مصطفى العدوي، فقه المعاملات قسم الهدية واحكامها : على شبكة مشكاة الاسلامية.
- مصلح، عبير (اعداد). النزاهة والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد . (فلسطين – رام الله، ائتلاف امان، 2007).
- معلوف، لويس. المنجد في اللغة والاعلام، ط. 31 (لبنان: منشورات الشرق، 1991).
- منظمة الشفافية الدولية / المركز اللبناني للدراسات (تحرير واصدار)، نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد: كتاب المرجعية . (لبنان: المركز اللبناني للدراسات، 2006).
- النبهاني، تقي الدين . الشخصية الاسلامية، ج1 و ج2 ، ط5 (بيروت: دار الامة، 2003).
- النبهاني، تقي الدين. نظام الحكم . ط2. (بيروت: دار الامة، 1953).
- النبهاني، تقي الدين. نظام الاسلام، ط6 (لبنان: دار الامة، 2001).
- هندي، صالح ذياب. دراسات في الثقافة الاسلامية . ط. 5، (الاردن – عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1984).